الحوار الفكري لجماعة المسلمين وأثره في التغلب على التطرف والإرهاب

دكتور

حلمي السعيد السعيد علام

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

جامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله العلي الحكيم ، لم يستنكف أن يحاور إبليس الرجيم ، والصلاة والسلام على النبي الكريم ﷺ ....وبعد :

فإنَّ الاختلاف والتعدد آية من آيات الله ، والذي يسعى لإلغاء هذا التعدد كلية ، فإنه يروم محالاً ويطلب ممتنعاً ؛ و لابد من الاعتراف بالاختلاف ، والاعتراف بوجود هذا الاختلاف لا يعني إقرار هذه المختلفات ولا تسويغ الاختلاف فيها ، لكنه يفرض على أهل الحق من جماعة المسلمين (أهل السنة) أنْ يتصدوا لهداية من قدروا على هدايته من المختلفين عنهم في الفكر والاعتقاد ، مع يقينهم بالعجز عن إنقاذ كثيرين ممن اختاروا العماية ، قال تعالى :﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (١) ، ولا يكون ذلك إلا بالحوار الفكري لردهم إلى حظيرة الإسلام ، وواجب العلماء والدعاة الدأب في دعوتهم وطلب أسباب هدايتهم .

وإننا ــ في هذه المرحلة الصعبة التي يعيشها العالم الإسلامي ــ لفي مسيس الحاجة إلى إقامة حوارٍ فكريٍّ فعال ؛ حيث يختلف العاملون في الحقل الإسلامي ، ويزعم كل من تصدَّر اتجاهاً بأنه على الطريق القويم ، وتجد كثيرا مما يقوله الفرقاء المتخاصمون ليس له نصيب من الصحة ولا يثبت حين الامتحان والاختبار .

(١) سورة الرعد . الآية ٣١ .

والحقيقة التي لا مراء فيها أننا الآن أمام ضرورة من ضرورات حياتنا الفكرية والعقدية الملحة الداعية لعدم الافتراق والتنابذ ، ولا بد من حوار فكري توضع له المعايير والضوابط والأهداف لرأب الصدع وتماسك الصف مرة أخرى ، إن الافتراق داء وآفة أصابت الأمة الإسلامية في مقتل منذ عمل أعداء الإسلام في وقت مبكر للقضاء عليه وعلى أتباعه ، وجاءت الضربات القاصمة الواحدة تلو الأخرى ، وبدأت تظهر الفرق من خوارج وشيعة ، ومرجئة، وقدرية،، وجهمية ومعتزلة ، ولا يخفى أثر الأيادي الخفية التي تُدبر بليل في نشأة معظمها ...إلخ ، حتى شهد أوائل القرن العشرين انهيار بقية السور العظيم الذي كان يحمي معاقل الإسلام ؛ الخلافة الإسلامية التي انهارت تحت مطارق الكفر ، ومؤامرات الأعداء الألداء والأبناء الأغبياء .

ونتيجة لذلك سرت في الأمة الأمراض الفكرية والعقدية المستوردة ،ومُسخت الشخصية الإسلامية ، وشوهت العقيدة الإسلامية ، واحتارت السبل بأمة الإسلام ، فلم تدر أين السبيل ، ولا أين الطريق ! إلى أن وصلنا الآن إلى ما نحن عليه من احتلال عسكري وفكري لمعظم عواصم بلاد الإسلام ، إن لم يكن من الخارج فمن الداخل ، بفعل المتآمرين من أبناء الإسلام ،وهو ما أطلق عليهم (الذين يكرهون أمتهم ودينهم) .

إنَّ الحوار الذي ننشده مع أبناء الإسلام الذين انخدعوا ببعض الأفكار الخادعة الهدامة ، ـــ فاتخذوا الإرهاب الفكري والعنف طريقاً ومنهجاً ـــ أنْ يكون حواراً

يوضح من خلاله الرجوع إلى التزام طريق جماعة المسلمين وما كان عليه رسولنا الكريم ﷺ وصحابته وسلفنا الصالح من الوسطية والاعتدال ، وأنْ يكون حواراً فكرياً يسوده إبراز الفكر الصحيح المعتدل بمناقشة أسباب اتخاذهم هذا المنحى الخطير في الفكر، وطرق علاجهم وردهم إلى حظيرة الإسلام ، مشفوعاً بلين القول من الأدب الحسن والخلق الكريم .

إنَّ الحوار الذي ننشده مع أبناء الإسلام الذين انخدعوا ببعض الأفكار الخادعة الهدامة ، أن يكون حوار العقلاء المتجنبين للسوء من القول المُلتزمين الحسن منه ، قال طلحة بن عمر : قلت لعطاء . إنك رجلٌ يجتمع عندك ناس ذوو أهواءٍ مختلفة ، وأنا رجلٌ فيَّ حِدْة، فأقول لهم بعض القول الغليظ . فقال: لا تفعل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ (١)

إنَّ الحوار الذي ننشده _ أيضاً _ ليس الحوار الذي يهدف إلى إزالة الفروق والاختلافات العقدية والشعائرية بين المتحاورين وتمييع عقائد الدين وتجاوزها تجاه وحدة الأديان والتقريب منها _ الحوار مع الشيعة _ ؛ فهذه دعوة تلفيقية قديمة متجددة ترعاها مؤسسات من مختلف الملل والنِحل ، ولكلٍ منها أهدافه التى يرنو إليها من خلال اجتذاب الآخرين وصهرهم في بوتقته .

(١) الجامع لأحكام القرآن . أبو عبد الله القرطبي ١٦/٢، ط٢ ، دار الشعب ، القاهرة ١٣٧٢ه، والآية بسورة البقرة . ٨٣ .

لقد شاءت إرادة الله أن يقيض لهذه الأمة علماء مخلصين أخذوا على عاتقهم لم شمل الأمة ، والقضاء على حالة الافتراق والتشرذم ، اتخذوا البناء الحضاري والحوار أساسا لها ، فأثمرت هذه الدعوات ثماراً طيبة ، فعاودت جذوة الإسلام تشتعل في النفوس ، عاد كثير من المسلمين إلى الأصالة الإسلامية وعرفوا هويتهم ووجهتهم .

تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن المنهج الأصيل الذي يمثل الحق في هذه الأمة ، وهو التزام جماعة المسلمين ، ونبذ الفرقة والاختلاف ، وذلك بالحوار لا غير ، بعيداً عن منطق العنف والتلاسن ، والخضوع والاستسلام لآراء الآخرين التي تتعارض مع الإسلام الصحيح بأصوله الواضحة ، وتنتظم من تمهيد وفصلين ونتائج وتوصيات .

والله من وراء القصد وهو نعم المولي ونعم النصير

مبحث تمهيدي

إنَّ التعدد في المخلوقات وتنوعها سنة الله في كونه وناموسه الثابت ، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه وصفاته التي تقارب تميزه أحياناً وتتنافر عنها في أحايين أُخري ، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوع والتعدد ، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر لبعض صور الاختلاف بين البشر ، وقد أكدت الآيات أنَّ اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبط بحكمته بقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾ (١)

الجماعة ووجوب لزومها

لم يكن هناك شرف يداني شرف الصحبة لرسول الله ﷺ؛ لذا غدا الصحابة هم المقياس الذي يقاس به الحق على مدار التاريخ إذا ما تنازع الناس وافترقوا ، والفرقة المتميزة صاحبة المنهج الصائب هي التي تسير على منهج الصحابة ، وهذه الفئة هم الذين يمثلون الخط الأصيل في هذه الأمة " فهم ليسوا فرقة من الفرق الإسلامية أو جماعة من الجماعات ، وإنما هم أهل الحق ، وهم الجماعة ، فالجماعة في الإسلام : أولئك السائرون على الحق المتمسكون به ، ولو كانوا فئة قليلة ، ولا عبرة هنا بالقلة والكثرة ، وليس معنى ذلك أن وجود الطائفة المنصورة : أهل السنة والجماعة كان قليلاً ، بل هم السواد الأعظم في هذه الأمة في كل جيل وعصر ... ولم يستطع

(١) سورة المائدة .الآية : ٤٨ .

أحد أن يزاحم أهل السنة والجماعة في أن يصبح هو جماعة المسلمين ... إن أهل السنة والجماعة هم الفئة التي استوعبت دين الله المنزل علماً صحيحاً وفقهاً سليماً ، ومثلته في واقع الحياة عملاً صائباً وسلوكاً سوياً " (١)

فيقال : أهل السُنة والجماعة ، وقد ورد تفسير الجماعة في بعض الأحاديث ، بأنها : جماعة المسلمين التي هي على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ؛ ففي حديث حُذَيْفَةَ بْن الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِى ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِى جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِى ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ . قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ،مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا . فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا . قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِى إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ . قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ .قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى

(١) أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم . د/ عمر سليمان الأشقر . ص ٣١ ، ٣٢ ، ط١ ، دار النفائس للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"([1]) ،فبين أن المراد بالجماعة :جماعة المسلمين المخالفة للمارقين والخارجين ([2])

وسُموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع ، وضدها الفُرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين ؛ و" الإجماع " هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في الدين والعلم ، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة " يعني الكتاب والسنة والإجماع " جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال مما له تعلق بالدين

يقول الإمام عبد القاهر البغدادي ـ رحمه الله عن سبب تسمية أهل السنة بالجماعة: " أنَّ أهل السنة لا يُكفر بعضهم بعضاً ، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير ، فهم إذاً أهل الجماعة القائمون بالحق ، وأن الله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون في تنابذ وتناقض ، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرؤ بعضهم من بعض ،كالخوارج والروافض والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم البعض .." ([3])

(١) الحديث أخرجه البخاري فيا لصحيح كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٣١٩/٣حديث ٣٤١١، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٢٠/٦ حديث رقم ٤٨٩٠ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٩٤ ، مجموعة من المستشرقين . نقلها إلى العربية . محمد ثابت وآخرون ، طبعة طهران .

(٣) الفرق بين الفرق .عبد القاهر البغدادي : ص: ٣٦١ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة المدني . القاهرة، وراجع مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب ، عبد الرحمن قاسم ،وابنه محمد ، ١٥٧/٣ طبعة خادم الحرمين : الملك فهد بن عبد العزيز، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

النصوص الواردة في الأمر بلزوم الجماعة والمحافظة عليها :

أولاً : النصوص الواردة في كتاب الله .

الآيات كثيرة منها قوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢) قال ابن كثير رحمه الله : ينهي الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم (٣)

(١) سورة آل عمران . الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران . الآيات . ١٠٥: ١٠٧ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ١/ ٣٩٠ ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٨٨هـ

النصوص الواردة في السنة النبوية .

عن أبى هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ : إن الله يرضي لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله أمركم (١) .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : استوصوا بأصحابي خيراً ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يعمل الرجل بالشهادة قبل أن يُسألها ، وباليمين قبل أن يسألها ، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد ، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن (٢)

ويبين الشافعي _ رحمه الله _ أنَّ معنى الجماعة في الحديث الاجتماع على الطاعة ،وأن من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها (٣)

وملخص القول : أن الجماعة تعني الحق من الاعتقاد أو أصحاب الاعتقاد الحق ، وقد يُعبرُ عن الجماعة بأصلٍ من أصولها (٤) .

---

(١) الحديث : أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الأقضية . باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه ٣ /١٣٤٠ح(١٧١٥)ط دار الخير ، بيروت ، الثالثة ، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

(٢) أخرجه التُرمذي في جامعه . كتاب الفتن . الباب السابع ٤٦٥/٤ رقم ٢١٦٥ ، وابن حِبان في صحيحه ٤٣٦/١٠ .

(٣) الرسالة . محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق : أحمد شاكر . ص ٤٧٤، ٤٧٦ ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) في الاعتصام للشاطبي وردت خمسة أقوال في معنى الجماعة الواردة في الأحاديث وهي لا تخرج في الغالب عن عموم ما سبق ، يقول : اختلف الناس في معني الجماعة . على خمسة أقوال :١ ـ أنها السواد الأعظم ، ٢ـ أنها جماعة العلماء المجتهدين

الفصل الأول

الحوار الفكري وأثره في المحافظة على الجماعة المسلمة

، ٣ ـ أن الجماعة هم الصحابة على الخصوص ، ٤ ـ أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا اجتمعوا على أمرٍ ، ٥ ـ أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .انظر الاعتصام ٢ / ١٦٠: ١٦٥ .

المبحث الأول

الحوار مفهومه وأنواعه

فيما يلي عرض موجز مع مصطلح البحث (الحوار الفكري) نستخلص فيها المراد به في معجمات اللغة وكذلك في اصطلاح العلماء :

أولاً : تعريف الحوار في اللغة :

يذكر ابن منظور في لسان العرب أن معنى الحَوْرُ : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، والحَوْرُ : النقصان بعد الزيادة ؛لأنه رجع من حال إلى حال (١) ، ويقول الزمخشري : حاورته : راجعته الكلام وهو حسن الحوار ، وكلمته فما رد على محوره (٢)

ثانيا: في الاصطلاح :

هو نوع من المحاورة بين شخصين أو فريقين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ، فلا يتأثر به أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب (٣)

وعرفه أحد الباحثين المهتمين بدائرة الحوار بين الأديان بقوله : محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به هدفها الوصول إلى الحقيقة

(١) لسان العرب .محمد بن مكرم ابن منظور . مادة (ح .و.ر) ٢١٧،٢١٨/٤ ، دار صادر ، بيروت ١٤١٤هـ

(٢) أساس البلاغة .أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . مادة ح .و.ر) ص : ١٤٦ ، دار بيروت ، بيروت

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٦هـ (في أصول الحوار)، الطبعة الرابعة، الرياض ، المطابع العالمية .

، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر ، بعيدا عن الخصومة أو التعصب ، بطريق يعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر (١).

وأرى أن هذا التعريف أدق وأشمل من الأول ، ويدخل معنا في أنواع الحوار من أجل المحافظة على الجماعة لأن فيه الاستعداد لقبول الحقيقة واتباع الحق الذي يظهر على يد أحد المتحاورين أو المتناظرين ، وهو الذي أكد عليه الإمام الشافعي بقوله : ما ناظرت أحداً إلا أحببت أن يظهر الله الحق على يد أحدنا .

ولفظ الحوار لم يرد في القرآن والسنة مصدراً وإنما وجدت مشتقاتها في مواضع كثيرة ، كما أن للفظ الحوار مرادفات كثيرة منها ، الجدل ومنه المحمود والمذموم ، والمناظرة ، والمناقشة ، والمحاجة .

تعريف الفكر :

جاء في مختار الصحاح : " (التفكر) : التأمل . والاسم : (الفكر ، والفكرة) والمصدر: (الفكر) ـ بالفتح ـ وبابه نصر . و(أفكر) فيه ـ بالتشديد ـ ، وتفكَّر فيه |: بمعنى . رجل (فِكير) ـ بوزن سكِّيت ـ : كثير التفكير " (٢)

(١) الحوار الإسلامي المسيحي . بسام عجك . ص ٢٠ ، الطبعة الأولي ، دار قتيبه ، دمشق ١٤١٨هـ .

(٢)مختار الصحاح . محمد ابن أبي بكر الرازي . ، ص ٣٠٠ ، الطبعة الأولي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٤١٩هـ .

وقد جاء في القاموس المحيط : " (الفكر) ـ بالكسر ويفتح ـ : إعمال النظر في الشيء ، كالفكرة ، والفكرَ بكسرهما ـ : أفكار . فكر فيه ، وفكر: فكر ، وتفكر . وهو فِكير ـ كالسكيت ـ فِكَر ـ كصِقل ـ: كثيرُ الفكر" (١)

والفكر اصطلاحاً هو: " ظاهرة عقلية ، تنتج عن عمليات التفكير القائم على الإدراك ، والتحليل ، والتعميم ، ويتميز الفكر عن العاطفة التي تصدر عن ميل انفعالى ، لا تستند على التجربة وتدور حول فكرة أو موضوع ، كما يتميز الفكر عن الإرادة التي ترمى إلى ترجيح كفة الميول القائمة على أحكام تقويمية " (٢)

أنواع الحوار في القرآن الكريم التي يمكن استخدامها في المحافظة على الجماعة

القرآن الكريم معجزة تهز القلوب وتصك الآذان ،فهو قوة الإقناع بالحجة التي لا يملك العقل أمامها إلا التسليم والتصديق ، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار متعدد الجوانب والاتجاهات والأنواع ، منها على سبيل المثال :

النوع الأول : الحوار العقلي التذكيري :

وهو: الخطاب الموجه من الله تعالى إلى عباده أو فئة معينة منهم كأهل الكتاب أو بني إسرائيل أو بعض المؤمنين ،الذين شقوا وحدة الصف والجماعة المسلمة ، و هذا النوع من الخطاب يقوم بمناقشتهم مناقشة عقلية ، وكذلك يقوم بتذكيرهم ببعض

(١) القاموس المحيط . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: ص ٤٢٦، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي . بيروت

(٢)معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . زكي بدوي .: ص ٤٢٥ ، مكتبة لبنان ، ١٤٢٥ هـ ، ١٩٧٨م.

نعمه عليهم أو ببعض ذنوبهم ومعاصيهم ، كتذكيره سبحانه للمؤمنين بنعمة الأُخوة في الله تعالى في قوله : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١)

إنَّ المتدبر لآيات القرآن الكريم يتبين له أن هناك من الموضوعات الحوارية التي نزعت منزعاً عقلياً حيث كانت تخاطب العقل والمنطق ، ولا عجب في ذلك لأن " دعوة القرآن في أساسها وجوهرها إنما تتجه إلى العقل والفكر ؛ إذ هي تتعلق بمبادئ وحقائق لا سبيل للوصول إليها والتمسك بها إلا بوسيلة العقل والفكر ؛ كالإيمان بوجود الله ووحدانيته ، والإيمان بأن هذه الحياة الدنيا لا يعقل أن تكون عبثاً آيلا للفناء والزوال (٢) ، ومن الحوارات التي كان المحكم فيها أساساً منطق العقل قوله تعالى مخاطباً نبيه : ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٤)

(١) سورة آل عمران . الآيات ١٠٣:١٠٥

(٢) منهج تربوي فريد في القرآن . محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٦٦ ، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ، دمشق ١٤٠٥هـ

(٣) سورة الإسراء . الآية ٤٢ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية ٢٢ .

النوع الثاني : الحوار التنبيهى أو الإيضاحي (حوار الإصلاح والتقويم) .

وهو : الخطاب الذي يرد فيه سؤال ويتبعه الجواب ، والغاية من توجيه السؤال " إثارة الاهتمام والشوق إلى ما يراد تعليمه أو توضيحه من أمور التبست على الأفهام ، والمخاطبون يعرفون شيئاً عنه ، ولكن المربي يريد إعطاءهم معلومات جديدة عنه ، أو إيضاح أمور لا يعرفونها ،أو تصحيح معلوماتهم ، أو إزالة شكوكهم وارتياحهم حوله"(١) كقوله تعالى :﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴾(٢) ، ومنه الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين صحابته من أجل إصلاح أخطائهم وتصحيحها والتعلم منها ، من ذلك الرجل الذي دخل فصلى ثم جاء ليسلم على رسول الله ﷺ ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ارجع فصل فإنك لم تصل ، ثلاث مرات وانتهى الأمر بأن صحح له الرسول ﷺ خطأه وعلمه الصلاة الصحيحة (٣)

(١) التربية بالحوار . عبد الرحمن النحلاوي ، ص ١٣٠ ، الطبعة الأولي دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٤ م .

(٢) سورة النبأ . الآيات ١ : ٣ .

(٣) أخرجه البُخاري في الصحيح كِتَاب الْأَذَانِ بَاب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ ١ / ٢١٩ ح (٧٥٧) // وبَاب أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ بِالْإِعَادَةِ ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ ح (٧٩٣)//و فِي كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ بَاب مَنْ رَدَّ فَقَالَ عَلَيْكَ السَّلَامُ ٤ / ١٣٧ ح (٦٢٥٢،٦٢٥١.ط مكتبة الإيمان ، المنصورة ، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م . ت/ طه عبد الرءوف سعد ، و أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصلاة بَاب وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنْ الْفَاتِحَةَ وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمَهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا ٤ / ٨١ ، ٨٢ح(٣٩٧) {٤٥، ٤٦}.

النوع الثالث : الحوار الخطابي الوجداني

وهو خطاب يعتمد على إثارة عواطف إنسانية أو انفعالات وجدانية ، تجعل الإنسان الذي يريد مخالفة الجماعة ينقاد للسلوك الحسن ويدخل في ذلك الترغيب والترهيب (١) ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢) ، وكقوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(٣)

وهذا النوع من الحوار يستبشر به الرسول ﷺ العواطف والمشاعر الإيمانية عند صحابته ، ومنه ما حدث : لما أعطى رسول الله ﷺ من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، فجمعهم ، وخاطبهم في شخص رئيسهم (سعد بن عبادة) فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي حتى قال ﷺ : أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا ، تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ،

---

(١) مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية . محمد عدنان على القضاة ، ص ٢٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ١٤٢٣هـ .

(٢) سورة التحريم . الآية ٦ .

(٣) سورة الأنعام . الآية ١٥٩ .

وترجعون برسول الله في رحالكم ، فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لأصبحتُ امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعباً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ،قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لِحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظاً ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا " ([1]) .

إن الاعتماد على العواطف الربانية في المواقف الخطيرة ، يجب أن يسبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه العواطف في نفوس المخالفين ومفارقي جماعة المسلمين ، والأسوة في ذلك رسول الله ﷺ الذي ربى هذه العواطف في نفوس الأنصار ، حتى أصبح الله ورسوله أحب إليهم من المال والولد والناس أجمعين .

النوع الرابع : الحوار الوصفي الإقناعي .

وهو: وصف حي لحوار يكون بين متخاطبين أو أكثر ، ويقصد به وصف لواقعهم وحالتهم النفسية ، بقصد أن يستخلص السامع أو القارئ العبرة ويأخذ الفائدة (٢) ، ومن ذلك قول الله تعالى :﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ *وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٨ / ٢٥٣: ٢٥٥ ح(١١٧٣١،١١٧٣٠)بإسناد حسن.ط دار الفكر ، بيروت بدون . ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب فضائل الصحابة باب ما جاء في فضل الأنصار ٩/٧٦٤:٧٦٢ ،ح(١٦٤٧٥) .

(٢) التربية بالحوار . مرجع سابق ، ص ٢٦ .

قَوْماً طَاغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * {فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ (١).

إن الصورة في هذا النوع من الحوار تُعرض عرضاً دقيقاً يصف الموقف وكأنه رأي العين ، مما يزيد التأثير العاطفي الذي ينتج عنه الإقناع بهذا الأمر ، كما أن هذا الأسلوب يوحي بالتحذير مما وقعوا فيه ، وهذا الإيحاء أقوى في الإقناع من التصريح في الابتعاد لما يوجب عذاب الله سبحانه وتعالى (٢) .

وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب الراقي من الحوار الذي يعتمد على الحجة والدليل القاطع في مواقف مختلفة، منها ما ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : ولد لي غلام أسود : فقال هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : ما ألوانها . قال : حُمْرٌ ، قال : هل فيها من أورق . قال : نعم ، قال : فأنَّى ذلك ؟ ، قال : لعله نزعه عرق ، قال : فلعل ابنك هذا نزعه (٣ (

فعن طريق الحوار بضرب المثل والقياس تمكن الرسول ﷺ من طمأنة الرجل وإقناعه وإزالة الشك من نفسه ، هكذا يسلك المتحاور مع مفارقي الجماعة مسلك رسول الله ﷺ .

(١) سورة الصافات . الآيات ٢٤ : ٣٢.

(٢) مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية . مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٥) الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٢ / ٤٩٨ ح(٣٩٢٣) // وفي كتاب الطلاق باب إذا عَرَّض بنفي الولد ٣ / ٤٠٠ ، ٤٠١ ح(٥٣٠٥) ، وأخرجه مسلم في الصحيح كِتَاب اللِّعَانِ في أوله ١٠ / ١٠٣ ، ١٠٤ ح(١٥٠٠) .

المبحث الثاني

الحوار من حيث الصفات والضوابط والأهداف

تمهيد :

إنَّ الحوار الذي ننشده مع أبناء الإسلام الذين انخدعوا ببعض الأفكار الخادعة الهدامة ، أن يكون حوار العقلاء المتجنبين للسوء من القول المُلتزمين الحسن منه ، قال طلحة بن عمر : قلت لعطاء . إنك رجلٌ يجتمع عندك ناس ذوو أهواءٍ مختلفة ، وأنا رجلٌ فيَّ حِدْة، فأقول لهم بعض القول الغليظ . فقال: لا تفعل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ (١)

أولاَ: الصفات (الشروط) التي يجب توافرها في المتحاورين للحفاظ على الجماعة المسلمة

الصفة الأولي : أهلية المتحاورين

(١) الجامع لأحكام القرآن . أبو عبد الله القرطبي ١٦/٢، ط٢ ، دار الشعب ، القاهرة ١٣٧٢ه، والآية بسورة البقرة . ٨٣ .

سواء كانوا من جماعة المسلمين السائرين على منهج الله ورسوله ، أو الذين يريدون فرقة هذه الجماعة ، فهو يمثل أساساً مهماً من أسس التعامل ، من أجل أن يحقق الحوار الثمرة والأهداف ، ويتوفر في كليهما العلم الضروري الذي يحتاجه في عرض قضيته ، حتى يكون تعاملهم على بصيرة ، وهذا منهج قرآني كريم قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) ، البصيرة اليقين والبرهان العقلي والشرعي ، ولذلك ذم الله الذين يجادلون بغير علم ، أو يقولون على الله ما لا يعلمون : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾(٢) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٣) ، ومن القول على الله بلا علم الفتوى بالرأي ، أو التقليد المجرد والوضع على رسول الله ﷺ ووضع النصوص الشرعية في غير موضعها وتحريفها .

الصفة الثانية : التجرد من الهوى

الباحث عن الحق والوصول للحقيقة عليه أن يتجرد من أهوائه وأطماعه وشهواته ؛ لأن الهوى ميل النفس إلى الشهوة ، وقيل : سُمى بذلك؛ لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية ، والهوى سقوط من عُلُوٍ

(١) سورة يوسف .الآية ١٠٨ .
(٢) سورة الحج . الآية ٨ .
(٣) سورة الأعراف . الآية ٣٣ .

إلى سُفلٍ ([1]) ؛ لأن الهوى هو كل ما خالف الحق وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد ، وهو خلق ذميم فهو عن الخير صاد وللعقل مضاد ، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ، ويظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً ومدخل الشر مسلوكاً ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الهوى إله يعبد من دون الله ثم تلا هذه الآية : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ....، وقال أعرابي : الهوى هوان (ذل وخزي) ولكن غلط باسمه ، فأخذه الشاعر وقال :

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه فإذا هويت فقد لقيت هواناً

وقيل في منثور الحكم : من أطاع هواه أعطى عدوه مناه ([2]) .

أما عن شهوات المتحاورين فلا بد أن تختفي بالكلية فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها ،فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية، إنَّ هذا الحق ثقيل مري([3]) ، وأن الباطل خفيف وبيّ ([4]) ، لذلك فعلى الذي يريد الحفاظ على الجماعة المسلمة _ جماعة المسلمين _ أن يتجرد من هواه ورغباته وميوله النفسية ،

(١) المفردات للراغب الأصفهاني أبى القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، ٧١٢/٢ ، الناشر . مكتبة نزار مصطفى الباز.

(٢) أدب الدنيا والدين . أبى الحسن الماوردى ' شرح وتعليق / محمد كريم راجح ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، الطبعة الرابعة ، دار اقرأ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٣) المري : دواء معروف من الأطباء به الحق ، هامش أدب الدنيا والدين ، ص ٢٤ .

(٤) وبي :أى من طبعة الإهلاك كالوباء ، والياء في (مري ، ووبي) لنسبة المشبه للمشبه به ، هامش أدب الدنيا والدين ص ٢٤

وأن يجرد مقاصده لله ، وأن يُحكم شرع الله ثم يحتكم إلى عقله السليم وبذلك تنفذ العظات والكلمات إلى عقل وقلب المخالف المفارق للجماعة ، وتجد منه أُذناً صاغية وقلباً خالياً ، أما إذا كان حبل التواصل منسوجا من الهوى والعصبية فإنه ينقطع في أسرع وقت ([1]) .

الصفة الثالثة : العدالة والاستقامة

العدل والاستقامة من أهم مميزات المسلم عموماً والداعين إلى الحق والخير على وجه الخصوص ، وهما من علامات حسن الخلق ، قال الماوردي :" حسن الخلق أن يكون سهل العريكة ، لين الجانب ، طليق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة " ([2]) ، ولابد أن يتصف المجتمعون المتحاورون من أجل الحفاظ على وحدة الجماعة المسلمة بهذه الصفات وتلك الخلال ،أما عن تحقق العدل بينهم فهذا خلق وتأكيد من الله للمسلمين ، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ([3]) ، ومن العدل الوفاء بالعهد ، ونبذ العهد إليهم إذا خشيت خيانتهم .

([1]) فقه التعامل مع المخالف .د / عبد الله بن إبراهيم الطريقي ص ٣٨ ،طبعة دار الوطن ، الرياض .

(٢) أدب الدنيا والدين .الماوردى (مصدر سابق) ص : ٢٥٣

([3]) سورة المائدة . الآية ٨

وأما عن الاستقامة فتكون بدعوتهم إلى الحق وهذا واجب كفائي على المسلمين أفراداً وجماعات ودولاً ، قال الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(١) هذا مع غير المسلمين ، فما بالك بمسلم نزغ الشيطان نزغه فيه ؟! فلا بد من دعوته للاستقامة بالرفق واللين ، فذلك كان هديه عليه الصلاة والسلام ، مع كل حادثة تظهر أمامه فيعاتب برفق ولين ، وأحيانا يستخدم العبارات القاسية حفاظا على وحدة الصف المسلم ، ومن ذلك عندما خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يتناظرون في القدر ورجل يقول : ألم يقل الله كذا ؟ ورجل يقول : ألم يقل الله كذا ؟ فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان ، فقال: أبهذا أمرتم ، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضا ، لا ليكذب بعضه بعضا ، انظروا ما أمرتم به فافعلوه ،وما نهيتم عنه فاجتنبوه (٢)

الصفة الأخيرة : الاعتدال والتوسط في التعامل

مما يجعل المسلم يعتني بلزوم جماعة المسلمين والدعوة إلى ذلك ويتحمس لها أن الله تعالى أعلى منزلة الدعاة ،حيث يصيرون بها من أحسن الناس قولاً عند خالقهم عز وجل قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي

(١) سورة النحل . الآية ٢٥

(٢) الحديث: سبق تخريجه .

مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١)

(١) سورة فصلت . الآية . ٣٣ .

ثانياً : ضوابط الحوار الفكري للحفاظ على الجماعة المسلمة

الضابط الأول : التفقه في الدين

وذلك بأخذه عن العلماء وبطريقته الصحيحة بمنهج أهل العلم ، ومنها الالتفاف حول علماء الأمة، الأئمة المهتدين الذين تثق الأمة بدينهم وعلمهم وأمانتهم، وهم بحمد الله كثيرون ولا يمكن أن تفقدهم الأمة، إن الدين لا يؤخذ إلا من الرجال المشهود لهم بالصلاح والعلم والتقوى ، لا يؤخذ من أناس يقدسونهم ويدعون أنهم معصومون من الخطأ والزلل ، لابد من إعادة النظر في تقويم الرجال من منظور الإسلام ، والإسلام فقط ، وهو ما دعا الدكتور/ محمد محمد حسين _ رحمه الله _ إلى أن يقول : " لا نريد أن تقوم في مجتمعاتنا أصنام جديدة معبودون لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد ، حتى إن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وصف أحد الناس إماما من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه ، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يوصف رسول الله ﷺ أو أصحابه بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون " (١)

الضابط الثاني : اتباع العلماء والسير في ركابهم

من أهم الضوابط في حوار مفارقي الجماعة معرفة من أين يأخذون علمهم مصدره ومشربه ، فمن مظاهر الخلل الفكري في منهج التلقي وسبب مهم من أسباب الافتراق الاستقلالية عن العلماء والأئمة، أي استقلالية بعض المتعلمين وبعض الدعاة وبعض الأحداث عن العلماء، فيكتفون بأخذ العلم عن الكتاب والشريط والمجلة والوسيلة، وعزوفهم عن التلقي عن العلماء، وهذا منهج خطير بل هو بذرة خطيرة للافتراق، ولو رجعنا إلى أسباب الافتراق في أول تاريخ الإسلام،

(١) الإسلام والحضارة الغربية . محمد محمد حسين . ص ٤٩ ، طبعة دار الفرقان ، د . ت . ، وانظر : أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، جمع وترتيب . د/ سيد بن حسين العفاني ١ / ٧، الطبعة الأولي . دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.

كافتراق الخوارج والرافضة، لوجدنا أن من أهم أسباب وجود هذا الافتراق عند من ينتسبون للإسلام؛ أقصد أصحاب الأغراض أو المنافقين أو الزنادقة، لكن ممن ينتسبون للإسلام، أعظم أسباب هلاكهم وافتراقهم، استقلاليتهم وانعزالهم عن الصحابة، واستهانتهم بهم، وترك أخذ الدين عنهم، وأخذهم العلم عن أنفسهم وعن بعضهم، قالوا: علمنا القرآن، وعلمنا السنة، فلسنا بحاجة إلى الرجال، يعنون علماء الصحابة والتابعين. فمن هنا استقلوا وخرجوا عن منهج التلقي الصحيح، وعن سبيل المؤمنين المأخوذ عن النبي ﷺ بالقدوة والاهتداء، والذي أخذه التابعون عن الصحابة بهذا الطريق، ثم عنهم السلف بهذا الطريق يأخذه الأئمة العدول جيلاً عن جيل.

فمن مظاهر الخلل الفكري في منهج التلقي وضرب أسوار من القداسة حول رموز ودعاة التفرق والافتراق يبرز سبب مهم من أسباب الافتراق: " إن ضرب أسوار القداسة حول الكبار _ كما يقولون _ أخطئوا أم أصابوا إنما هو خيانة فكرية للأمة بأسرها لهالات التقديس التي يحاطون بها من حملة القماقم أو خبثاء الطوايا ، وهذا ما يؤدي حتماً إلى إعادة فتح الملفات فور زوال العمى عن البصائر وبمجرد انحسار هالات المجد التي يعيشها الكبار من قبل " ([1]).

والضابط الثالث : الحرص على الجماعة وعدم مفارقتها .

من خلال الحوار الفكري بيننا وبين من يريدون مفارقة الجماعة وضرورة ردهم إلى حظيرة الجماعة مرة أخرى ، وذلك بتحرير النقاط والمسائل المتعلقة بمحل الوفاق والاختلاف ، إذ لابد أن يحرص كل مسلم وكل طالب علم بالأخص وكل داعية بشكل أخص، على الجماعة والاجتماع والإصلاح بين الدعاة وأهل الخير، وبين الناس وولاتهم، وعلى جمع الكلمة على البر والتقوى.

ومن أراد أن يعتصم بالسنة والجماعة وينجو إن شاء الله من الافتراق فعليه أن

---

(١) أعلام وأقزام في ميزان الإسلام (مرجع سابق) ١ / ٧ .

يلازم أهل العلم، ويلازم الصالحين من أهل التقوى والخير والاستقامة، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يضل عن الهدى رفيقهم وأنيسهم ، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، والجماعة من كان على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

إن تحرير محل الوفاق أو الخلاف من الأمور المهمة التي تضيق نطاق الشقاق والافتراق وتحصره في دائرة معينة ، ومن ثم يقل النزاع ويختصر الوقت والجهد ، وهو ما يعرف عند الأصوليين بتحقيق المناط([1]) وتنقيحه وتخريجه ، وبدون مراعاة هذه الأمور يطول الحوار وقد لا ينتهي ، ولا يعرف له طرف ، بل قل : لا يعرف له هدف .

والضابط الأخير : التحذير من السير وراء علماء انحرفت عقائدهم

ومن خلال الحوار الفكري لا غير ، لا بد من بيان وتوضيح هؤلاء المتعالمين الذين انحرفت عقائدهم ، وغلب عليهم الجهل ، فلم يفهموا النصوص فهما سليما ، لإتباع هوى النفوس واستحكام قوة الحسد ([2]) .

مما يعني أن هؤلاء ممن يطلق عليهم علماء ألبسوا كثيرا من قضايا النزاع _ وهي غير نابعة من اختلاف عقدي ، وغير عائدة من فقه شرعي _ لباس الدين والشرع ، إلا أنه في حقيقة الأمر عائد إلى هوى متمثل في حب القيادة والزعامة لتكثير الأتباع ، فيقوم مثل هذا النوع بحملات يقصد بها زعزعة الثقة بالآخرين ومناهجهم ، كي يحافظ هؤلاء على أتباعهم ، ويكسبون أنصاراً جدداً .

وغضب ﷺ غضباً شديداً عندما وقف في وجه متعالم جاهل مغرور بين يديه يعترض عليه في حكمه في الغنائم مرة ، ويقول : اعدل يا محمد ، فيقول له الرسول

(١) تحقيق المناط : تحقيق العلة وإثباتها في الفرع ، كالسكر فهو علة لتحريم الخمر ، فالمجتهد يحقق وجود هذه العلة وإثباتها في النبيذ أو المخدرات ، وتنقيح المناط : فهو تهذيبه وتصنيفه، لينظر فيما يصلح علة ومالا يصلح ، وأما تخريج المناط : فهو استخراج علة الحكم كاستخراج علة الربا في الذهب والفضة والتمر واللبن والشعير ، أهي الطعم مثلاً أم الكيل والوزن ، أم غير ذلك ، انظر : البحر المحيط للزركشي : ٢٥٧/٤ ، ٢٥٥/٥.، نشر وزارة الأوقاف الكويتية

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام . د/ غالب بن على عواجي ، ٤٧/١ ، طبعة مكتبة لينة . المدينة المنورة ١٩٩٣م .

ﷺ: ويحك من يعدل إذا لم أعدل ؟! أيأمنني من في السماء ولا تأمنوني ، فلما وَلَّي ، قال : يخرج من ضئضئي هذا أقوام يحقر صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ([1])وحذر ﷺصحابته من الفتنة كما حذرهم من الذين يردون سنته

يمكننا القول : لم يعرف عن واحد من الصحابة أنه كان رأسا من رؤوس البدعة والضلال ، أو أنه قال بقول من الأقوال التي نشزت وندت من بعد ، فلم يكن فيهم من قال بقول الخوارج والشيعة ، أو المرجئة أو القدرية أو المعتزلة ، يقول السفاريني رحمه الله تعالى : " واعلم أن الصحابة الكرام تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأكمة إيمانا بلا خلاف ، ولكن بحمد الله تعالى لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال ، فكلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم "([2])

---

(١) الحديث : أخرجه ابن ماجه في السنن في المقدمة باب في القدر ١ / ٣٣ ح(٨٥).قال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخرجه أحمد في المسند ٢ / ١٧٨.

(١) الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٢ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ ح(٣١٥٠) // وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب (٢٨) حديث الخضر مع موسى ـ عليهما السلام ـ ٢ / ٣٦٨ ح(٣٤٠٥) // وفي كتاب الأدب باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه ٤ / ٩٢ ح(٦٠٥٩) // وباب الصبر على الأذى ٤ / ١٠٣ ح(٦١٠٠) // وفي كتاب الاستئذان باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارَّة أو المناجاة ٤ / ١٤٨ ح(٦٢٩١) . وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ، ومن يخاف على إيمانه ٧ / ١٢٨ ، ١٢٩ ح(١٠٦٢) {١٤٠ ، ١٤١} .

(٢) عقيدة السفا ريني ١ / ٦

ثالثاً : أهداف الحوار للحفاظ على الجماعة المسلمة .

الهدف الأول : يحصل به التمحيص والامتحان .

من الأهداف المهمة أن يجلس المحاورون مع دعاة الفرقة يتحاورون ويتناظرون في المسائل محل الخلاف وسبب الافتراق ومناقشتها مناقشة هادئة عاقلة، وضرب الأحاديث والمواقف من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي التي مفادها البعد عن الفُرقة وتذكيرهم بما قاله الرسول ﷺ: في هذا الصدد ، ومنها :

أولاً : أخبر النبي ﷺ بالافتراق في الأمة، حين أخبر عن الخوارج، وأنهم سيخرجون عن هذه الأمة، وأنهم يمرقون من الدين، والمروق قد لا يعني الكفر أو الخروج من الملة بالكلية، إنما المروق قد يعني الخروج من أصل الإسلام، أو عن حدوده، أو بعض ذلك، والخروج يكون بالكفر، أو ما دون الكفر، وقد يعني الخروج من أمة الإسلام وهي جماعته، أو من السنة التي عليها أهل السنة وهم أهل الإسلام في الحقيقة.

ثانياً : والنبي ﷺ أمر بقتل المفارق للجماعة، كما في الحديث «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[1]، وهذا تشريع في أمر لابد حاصل، إذ لا يكون تشريع النبي ﷺ ترفًا أو افتراضًا.

الهدف الثاني : بعث التفكير ونفض غبار الجهل

إنَّ الداعين للافتراق وشق وحدة الصف لا شك دعوتهم هذه تنطلق من ثقافة

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كِتَاب الدِّيَاتِ ٤ / ٢٨٥ ح(٦٨٧٨)، وأخرجه مسلم في الصحيح ١١ / ٣١٦ ، ٣١٧ ح(١٦٧٦) .

ضحلة بمفهوم الدين عقيدةً وشريعةً وتشدداً وجهلاً ، " والجهل داء عضال وقاسم مشترك يشكل كل الأسباب، لكن الجهل المقصود هنا هو عدم التفقه في الدين عقيدة وشريعة، وهو الجهل بالسنة وأصولها وقواعدها ومناهجها، وليس مجرد عدم تحصيل المعلومات، لأن الإنسان قد يكفيه أن يحصل ما يحصن به نفسه، وما يحفظ به دينه، ويكون بذلك عالمًا بدينه، ولو لم يتبحر في العلم، والعكس كذلك؛ وقد يوجد من الناس من يعلم الشيء الكثير، وذهنه محشو بالمعلومات، لكنه يجهل بديهيات الأصول والقواعد الشرعية في الدين، فلا يفقه أصول العقيدة وأحكام الخلاف وأحكام الافتراق، وأحكام التعامل مع الافتراق، وأحكام التعامل مع الآخرين، وهذه مصيبة كبرى أصيب بها كثير من الناس اليوم، وهي أن الواحد منهم توجد لديه معلومات شرعية، أو يكون ممن يتعلمون ويأخذون العلم الشرعي عن مصادر كثيرة، لكن تجده جاهلاً في العقيدة وفقه أحكام الإسلام، وفي الأحكام على الآخرين، وفي أحكام التعامل مع الناس، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيفسد من حيث لا يشعر. فالجهل مصيبة، والجهل سبب رئيسي لوجود الافتراق، والجهلاء هم مادة الفرق، وهم وقودها([1]).

ومن هؤلاء الجهال المتعالمين من أفتى من بعض فرق الخوارج في حد الرجم حيث أنكروه خلافاً لأهل السنة ، وكخلاف الشيعة في نكاح المتعة واعتقادهم مشروعيته والعمل به خلافا لأهل السنة ([2])

الهدف الثالث : الكشف عن الخلل في منهج تلقي الدين

قد يوجد لدى كثير من الناس علم، وقد يطلع على كثير من الكتب، لكنه يجهل أو يختل عنده منهج تلقي الدين، لأن تلقي الدين له منهج مأثور منذ عهد النبي ﷺوالصحابة والتابعين، وسلف الأمة، واقتفاه أئمة الهدى إلى يومنا هذا.

([1]) الافتراق مفهومه وأسبابه . سبل الوقاية منه . ص :٢٩ .

([2]) انظر : فتح الباري . لابن حجر ٧٨/٩ ن والمغني لابن قدامة ٤٦،٤٧/١٠ .

وهذا المنهج إنما هو العلم والعمل والاهتداء والاقتداء والسلوك والتعامل، وهو الإلمام بالقواعد الشرعية والأصول العامة أكثر من مجرد الإلمام بفرعيات الأحكام أو بكميات النصوص ، وذلك يكون بتلقي الدين عن القدوة، الأئمة العدول الثقات، وعن طلاب العلم الموثوق بهم وبعلمهم. وأن يؤخذ العلم بالتدرج النوعي والكمي حسب المدارك والاستعداد، والعلم الذي يحصل به الفقه في الدين هو العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة عن أئمة الهدى؛ فالكتب الثقافية والفكرية والأدبية والتاريخية ونحوها لا تفقه في الدين، إنما هي علوم وافدة مساعدة لمن أحسن انتقاءها ([1]).

الهدف الأخير : تحقيق الألفة وقطع أسباب الفُرقة .

العلاقة بين مفارقي الجماعة والقائمين على حوارهم وردهم إلى حظيرة الإسلام وجماعة المسلمين يجب ألا يختل ميزانها ؛ لأنه يؤدي إلى زيادة الافتراق المذموم المفضي لاتساع الهوة وفساد الأحوال في الدنيا والآخرة ، ويؤدي لانتشار السفه والحمق والتباري بالشتائم والألفاظ الجارحة ، والله تعالى أمرنا بقوله : " ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢)

إنَّ غياب الحوار وفقه الاختلاف بين أتباع الفرق في نهاية القرن الثالث الهجري أدى إلى ظهور آثار مدمرة من الشحناء والعداوات ، كما أدت إلى ضياع المصالح وتسلط الأعداء ، وكان من أبرز هذه العصور الضعف السياسي والاقتصادي والعلمي والعسكري ، ونماذج التناحر والتسفيه بين أتباع الفرق المختلفة منذ ذلك العصر لا تعد ولا تحصى من كثرتها ، ومنها أن أبا القاسم بن أبي الحسين أبا المفاخر

(١) الافتراق مفهومه وأسبابه . سبل الوقاية منه .ص ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران . الآية ٤٦ .

النيسابورى المتوفي سنة ٥٤٥ هـ ، قدم بغداد فوعظ بها وأخذ ينال من الأشاعرة ؛ فأحبته الحنابلة ، ثم اختبروه ، فإذا هو معتزلي ، ففتر سوقه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد ، وقد سمع منه ابن الجوزى شيئا من شعره من ذلك :

مات الكرام ومروا وانقضوا ومضوا ومـــــــــات من بعدهم تلك الكرامـــــــــات

وخلفـــــوني في قـــوم ذوي سفه لو أبصروا طيفضيف في الكرى ماتوا (١)

ولقد وصل الأمر بين أتباع الفرق إلى نبش القبور ، ففي سنة ٥٨٧هـ في كتاب "العبر" في ترجمة نجم الدين الخُبوشاني محمد بن الموفّق الصوفي الزاهد الفقيه الشافعي : (.. ثم عمد إِلى قبر أَبي الكيزان الظاهري، وكان من غُلاة السنّة وأَهل الأَثر فنبشه ، وقال : لا يَكون صِدّيق وزِنْديق في موضع وَاحد . يعني هو والشافعي فثارتْ حنابلةُ مصر عليه ، وقويت الفتنةُ ، وصار بينهم حملات حرّبية (٢) .

(١) البداية والنهاية . أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، تحقيق .د/ رياض عبد الحميد مراد ، وآخرون ٢٢٧/١٢ الطبعة الثانية ، دار ابن كثير . دمشق ، بيروت ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

(٢) العبر في خبر من غبر . محمد بن أحمد بن الذهبي ، تحقيق : محمد السعيد بسيونى ٩٣/٣ ، طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

الفصل الثاني

الحوار الفكري بين الإرهاب والتقريب

المبحث الأول

الإرهاب الفكري وصوره وطرق تصحيحه

لقد أصبحت كلمة (الإرهاب) تشير في حاضرها الراهن إلى مفاهيم توصف بالمرونة، وتُطَوَّعُ إلى أداء معانٍ غامضة، تثير في الأذهان مصداقيتها عند تقييم الحوادث والوقائع التي تحتاج إلى وصفٍ دقيق، كالتي نحن بصددها مثلاً (مصطلح العنف والتطرف والإرهاب) وغيرها مما شاع في الأوساط الإعلامية والسياسية، المحلية والدولية، لضمان حسن تلقي السامع، لما يريده المتكلم، تجنباً للقطيعة، والفجوة بين الأجيال، بحيث يكون المصطلح في معناه القديم والجديد مفهوماً ومحدداً في نسق متصل، دون قلب للمعنى، ولا قطيعة في سلم التطور والنمو للغة العربية، وما لم تحدد بدقة مدلولاتها، ويحقق فحواها، فستظل كثير من القضايا المهمة في حياة الناس محل خلاف، منشؤه لفظي، وينعكس في المواقف والمجالات التطبيقية، فيصف أحدهم مثلاً هذا الفعل، أو ذاك، بأنه مشروع ومستساغ، وآخر يصفه في الوقت نفسه بأنه مرفوض ومستقبح، كما هو مشاهد في مجرى الحياة اليومية في أكثر من موقف، وأكثر من قضية، من قضايا الأمة العربية والإسلامية بصفة عامة، ويزداد تعذر الوصول إلى وحدة الرأي في المواقف، وإلى الاتفاق عند شدة الحاجة إليها، فتتعطل كثير من المصالح، ويهتز الأمن والاستقرار، ويسود مناخ التطرف والعنف والإرهاب بالمعنى المعاصر، والاستبداد والحروب الجائرة، وأبشع أنواعها مجتمعة.

فمن منا لم يسمع اليوم عبارات ضالة أو مضللة مجحفة ظالمة مثل: الإرهاب الإسلامي، والتطرف الإسلامي، والعنف الإسلامي، وإرهابيّ إسلامي، وإرهابيون إسلاميون.. ونحوها من العبارات التي لا تفتأ تتكرر كل يوم وتجتر، وتترسخ في الأذهان، ولاسيما بالنسبة لمن لا يعرف حقيقة موقف الإسلام من الإرهاب ويختلط عنده بالمعنى المعاصر لهذه الكلمة.. ولا يعرف حكم الشرع في أنواع التطرف، والعنف.

المطلب الأول

الإرهاب والتطرف بين المفهوم والعلاقة

أولاً: مفهوم الإرهاب لغة

جاء في مختار الصحاح :"(رهِب) : خاف . وبابه : طَرِبَ . و(رهَبَه) أيضاً بالفتح ، و (رُهباً) بالضم ، و(أرهبه) و (استرهبه) : أخافه ، ومصدره (الرهبة) و (الرهبانية) بفتح الراء فيهما ـ و(الترهب): التعبد " (١)

أما من الناحية الاصطلاحية: فلم يعثر على تعريف إجرائي مناسب لما نحن بصدده ؛ إذ أن كل التعريفات التي وجدتها تبنت مفهوم الإرهاب الجسدي ، ومن أمثلة تلك التعريفات ما يلي : ـ

الإرهاب هو : استراتيجية عنف محرم دولياً ، تحفزها بواعث عقائدية ، وتتوخى إحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين ، لتحقيق الوصول إلى السلطة ، أو للقيام بدعاية لمطلب ، أو لمظلمة ، بغض النظر إذا كان مقترفو العنف يعملون من أجل أنفسهم ، أو نيابة عنا ، أو نيابة عن دولة من الدول " (٢)

ويعرف الإرهاب بأنه : " كل عمل من أعمال العنف ، أو التهديد بها ، والتي يحكم بتحريمها شرعاً ، والتي تقع تنفيذاً لمشروع إجرامي ، فردي أو جماعي ، مما

(١) مختار الصحاح . لأبي بكر الرازى . ص : ١٦١ ، وانظر القاموس المحيط . الفيروزآبادي ، ص: ٩٨ .
(٢)الإرهاب الدولي . دراسة قانونية ناقدة . د/ محمد عزيز شكري . ص : ٤٨ ، الطبعة الأولي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

يسفر عنها حالة من الشعور بالخوف والرهبة بين الناس ، أو تسبب لهم الضرر ، بشكل مباشر ، أو غير مباشر " (١)

ويلاحظ على هذين التعريفين أن الإرهاب هو : ما خرج من دائرة الفكر والرأي إلى دائرة السلوك ، سواءً أكان فعلياً بالعنف ، كالقتل ، وإلحاق الضرر بالبيئة ، أم قولياً ، كالتهديد والعنف ، وإلقاء الرُعب بين الناس .

ثانياً : مفهوم التطرف لغة

التطرف في اللغة معناه الوقوف، أو الجلوس في الطرف،وأصل الكلمة في الماديات، ثم انتقل إلى المعنويات، كالتطرف في الدين،أو الفكر أو السلوك،وبهذا المعنى فإنه بعيد عن الوسط،وبالتالي أكثر تعرضاً للخطر والهلاك،وأبعد ما يكون عن الحماية والأمان، وهو يعني الغلو والتشدد والتنطع

أي أن التطرف هو:" طلب نهاية الحد أي طرفه الأقصى والأبعد،وهو قريب من معنى الغلو في هذا ، فكل من تجاوز حد الاعتدال وغلا، يصح لغوياً تسميته بالمتطرف ، جاء في المعجم الوسيط في معنى تطرف: تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط(٢)، كذلك التنطع والتشدد،وترك الرفق واستخدام العنف ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله : (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً(٣).

(١)دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب . أ / خالد صالح الظاهري . ص: ٥٣ ، طبعة دار عالم الكتب . الرياض ١٤٢٣هـ

(٢)المعجم الوسيط: مادة طرف.

(٣)أخرجه مسلم في الصحيح كتاب العلم باب النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ وَالنَّهْيِ عَنْ الاِخْتِلاَفِ فِى الْقُرْآنِ. ١٦ / ١٦٨ ح(٢٦٧٠){٧}

أما عن مفهوم التطرف اصطلاحا: فيشير "إلى حالة من التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه بوجود الآخرين، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع ، ولا ظروف العصر، ولا بفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهاناً، وأرجح ميزاناً (١).

ويشير أيضا إلى أنه : مصطلح يُستخدم للدلالة على كل ما يناقض الاعتدال، زيادة أو نقصاناً .

وأيضا : الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة لها.

وأيضا :اتخاذ الفرد (أو الجماعة)، موقفاً متشدداً إزاء فكر أو قضية ، يحاول أن يجد له مكان، في بيئة هذا الفرد أو الجماعة. وقد يكون التطرف إيجابياً يتمثل بالقبول التام لهذا الفكر أو القضية ، أو سلبياً يتمثل بالرفض التام له، ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بين القبول والرفض.(٢)

(١)الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د / يوسف القرضاوي: ص٢٩ ط ، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية ،
(٢)الإرهاب بين التجريم والمرض للدكتور / محمد يسرى إبراهيم دعبس .ص ٥٤ ط وكالة النبأ للنشر والتوزيع ١٩٩٤م.

ثالثاً : علاقة التطرف بالإرهاب:

يبدوا أن القول بأن التطرف هو أحد أوسع الأبواب التي تؤدي إلى الإرهاب يحتمل الكثير من الواقعية خاصة بعد أن ثبت أن ٩٥٪ من حالات الإرهاب، والإرهاب المنظم، التي اجتاحت العالم العربي خلال الخمسين عاماً الماضية كانت نتاجاً للتطرف

لأن التطرف كما فهمنا من التعريفات السابقة هو اللجوء إلى العنف (بشكل فردي أو جماعي) من قبل الجهة المتطرفة بهدف فرض قيمها ومعاييرها، أو بهدف إحداث تغيير في قيم ومعايير المجتمع الذي تنتمي إليه وفرض الرأي بالقوة، وهو أحد أشكال الإرهاب، والإرهاب المنظم ، ويمكن أن نستعين بمثال حي على ذلك ما يسمى بتنظيم الدولة (داعش) .

المطلب الثاني

صورة من صور الإرهاب الفكري

صورة للإرهاب الفكري في وقتنا الراهن (تنظيم الدولة الإسلامية ـــ داعش ـــ) :

إن الخوارج والشيعة والتكفيريين ما زالت آراؤهم تظهر وتتردد بين الفينة والأخرى متشحة نفس الأفكار المتطرفة والمغالية تختلف باختلاف العصر من حيث الأسلوب والأداة ، لكن هدفها واحد هو الإرهاب الفكري أولاً ، ثم التبعية العقدية لهم بعد ذلك .

لقد ظهر الفكر الشيعي مغلفاً بالآلة السياسية مبطناً بالمذهبية والأيديولوجية الباطنية العمياء ، وألا يكون لغالبية الدول العربية والإسلامية الدينونة إلا له .

كما ظهر على الساحة من هم أشد منهم خبثا ومكراً فكان خوارج العصر من الدواعش تلك الفرقة التي يجهل سبب ظهورها وأهدافها سوى أن الغرب يريد له التمكين والتغذية الفكرية والعسكرية بهدف تشويه الإسلام وأفكار المنتسبين إليه لقد أخذت آراؤهم الفكرية الضالة المضلة تهب ومعها رياح الفساد على الأُمة ، ويدُب الصراع بين المسلم وأخيه المسلم ، بسبب من يقرأ في كتبهم ويطلع على أفكارهم ، وليست عنده حصانة دينية ولا ثقافية إسلامية تؤهله لتفنيد آرائهم ، وعلى الرغم من هذه الأفكار المظلمة وظهور البدع ، وانتشار القصص المختلقة ، ووضع الأحاديث عن رسول الله ﷺ، إلا أن الإسلام بقي ناصعاً بأحكامه ، يؤدى

رسالته الحياتية ، حيث وجه الناس إلى الحوار وأرشدهم إليه فتمسكوا به ، وإن اختلفوا ، لكنهم لا يحيدون عن الحق ، وفضل الله على الأمة عظيم .

إن خوارج هذا العصر من الدواعش وغيرهم لهم نفس أفكار أسلافهم حيث يسيرون في ممارسة الإرهاب الفكري والجسدى بالقتل ، حينما أشهر سلفهم سيوفهم للقتال واستحلوا دماء مخالفيهم في زمن علىي رضي الله عنه وناظرهم هو وأصحابه مناظرة وحواراً فكرياً رائداً رائعاً ، فرجع منهم من رجع وبقي منهم من بقي وقاتلهم علي رضي الله عنه وقتلهم ، وسئل علىٌ رضي الله عنه عن أهل النهروان : أمشركون هم ؟ فقال: من الشرك فروا ، قيل أفمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً . فقيل : فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بغوْا علينا ، فقاتلناهم ببغيهم علينا " (١)

لقد ظل هؤلاء (أسلاف الخوارج) وغيرهم من خفافيش الظلام الفكري يدبرون بليل يتحينون الفرصة ويشجعون على ظهور مؤيدين لهم أو مناوئين لهم في الفكر ، فظهر الروافض والنواصب ، وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين ، مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المائتين ، فظهر الخليفة المأمون ، وكان ذكيا متكلماً له نظرٌ في المعقول ، فاستجلب كتب الأولين ، وعرَّب حكمة اليونان ، وقام في ذلك وقعد ، وخبَّ ووضع ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها ، بل والشيعة ، فإنه كان

(١)الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف باب في مسير عائشة وعلى وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، باب الجمل ، ٢٥٥/١٥ ، ثر ٣٨٩١٨/٨ .

كذلك ، وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق لقرآن ، وامتحن العلماء فلم يُمهِل ، ثم إن المأمون نظر في الكلام وناظره ، وبقي متوقفاً في الدعاء إلى بدعته حتى خالطه قوم من المعتزلة ، فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ، ثم قوي عزمه ، وامتحن الناس " (١)

يبدوا أن القول بأن التطرف في الفكر هو أحد أوسع الأبواب التي تؤدي إلى الإرهاب يحتمل الكثير من الواقعية خاصة بعد أن ثبت أن ٩٥٪ من حالات الإرهاب، والإرهاب المنظم، التي اجتاحت العالم العربي خلال الخمسين عاماً الماضية كانت نتاجاً للتطرف ؛ لأن التطرف كما فهمنا من التعريفات السابقة هو اللجوء إلى العنف (بشكل فردي أو جماعي) من قبل الجهة المتطرفة بهدف فرض قيمها ومعاييرها، أو بهدف إحداث تغيير في قيم ومعايير المجتمع الذي تنتمي إليه وفرض الرأي بالقوة، وهو أحد أشكال الإرهاب، والإرهاب المنظم.

إنَّ ذلك يظهر جلياً وواضحا من أقوال وأفعال تنظيم الدولة (داعش) حيث تدعي أنها ما أعلنت عن نفسها إلا لتحكيم الشريعة الإسلامية ، وعندما يتم دعوتها للجلوس لمناقشة أفكارها وآرائها ترفض النزول على ذلك بحجة أنَّ الخصم مرتد أو عميل ، أو أنَّ الحكم ليس من أهل المنهج ، إنها برفضها تحكيم الشرع عند الاختلاف والتنازع ستقع فيما تحكم به على غيرها من الكفر بحاكمية الله تعالى ! أم أنَّ دعوتها بتحكيم شرع الله مجرد شعار لجذب الشباب المسلم والتغرير بهم ، أليس

(١)سير أعلام النبلاء . شمس لدين الذهبي ٤٧٢/٩، الطبعة الأولي دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

من أظهر علامات النفاق التهرب من تحكيم شرع الله تعالى ؟، قال تعالى : رأيت المنافقين يصدون (١)

إن التطرف الفكري لتنظيم الدولة الإسلامية يظهر جلياً من خلال بحث مرتكزاتها الفكرية القائمة على أساس الغلو في التكفير والقتل بغير حق كأسلافهم من الخوارج في زمن عليٍ بن أبى طالب ، فأساس التكفير عنهم جميعاً يقوم على مبدأ " الحكم بغير ما أنزل الله " ، وعنه يتفرع تكفير الحكام وتكفير الراضين بذلك ، وتكفير من لم يكفر هؤلاء جميعا ، كما أنَّ البلدان التي تحكم بالقوانين تصبح كلها دار كفر .

وهنا نرى أنَّ تنظيم الدولة " داعش " يتبنى معظم الأفكار التي كانت تتبناها التنظيمات الجهادية التكفيرية المنتسبة للفكر القاعدي ، ومن أبرز هذه الأفكار :_

أولاً : عقيدة الولاء والبراء : من يتابع خطاباتهم يجدهم يُضخمون لها ، مما نتج عن ذلك ، إساءة الظن بعموم الناس حتى من المسلمين ممن يخالفونهم لدرجة تكفيرهم والحكم بردتهم ، وكذلك حدتهم وغلظتهم في الإنكار والرد على المخالف بالأسلوب العنيف ، وعدم التفكير في مآلات الأمور ، كما حاولوا النيل من الخصم أياً كان بكل الوسائل .

ثانياً : الغدر وممارسة الكذب : فقد منحوا الأمان للرسل ولعامة المجاهدين ، ثم الغدر بهم وتعذيبهم وقتل كثير منهم ، ونقض العهود مع الكتائب التي تقاتلها

(١)انظر: الدولة الإسلامية داعش . د/ صالح حسين الراقب: : ص ١٣،د.ن ، والآية بسورة النساء : ٦١

كغدرهم بأحرار الشام في بلدة " مسكنة " ، وهنا يتضح كذبهم وخداعهم ، ويظهر أكثر عندما أعلنت بالمشاركة في العمليات العسكرية ضد النظام السوري حتى وهِمَ أنصارها ذلك فظنوها الفريق المُجلّي في كل ميدان ، وما لها في سوريا مشاركة تُذكر (١)

ثالثاً : البغي والفجور في الخصومة واختلاق الذرائع : يتضح ذلك إذا كانت خصومتها مع فردٍ من كتيبة فإنها تستهدفها كلها وتحاربها حتى تستأصلها من جذورها وتعتقل وتقتل وتشتت قادتها ، وإذا أخطأ بحقها فرد من سكان إحدى المدن فإنها تعاقب المدينة كلها فتجتاحها وتقضي على ما فيها ، وهى بهذا الظلم لا تقل فُجوراً وإجراما عن النظام الأسدي ، ومن الأمثلة على ذلك وافتضاح أمرها ، هروب المسؤول الشرعي في داعش ، السعودي " أبو على الحربي " إلى تركيا وتسليم نفسه لسفارة المملكة ، وجاء هروبه بعد اكتشافه حقيقة عمالة تنظيم داعش لإيران وروسيا ، وتلقي التنظيم الدعم منهما للفتك بالثورة السورية ، وتغيير مسار الحِراك العراقي (٢)

(١) انظر: المصدر السابق : ص ٤١: ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٤ ، ٤٥ .

المطلب الثالث

الطرق الحوارية لتعديل الفكر وتصحيح الرأي

يشهد التاريخ الإنساني على مر العصور بأن التراث الإسلامي ابتكر طرقاً وأساليب شتى ومتنوعة أسهمت بشكل فعال في تعديل فكر وتصحيح رأي ، منها على سبيل المثال لا الحصر : ـ

أولا : طريقة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تعديل الفكر وتصحيح الرأي:

فقد أثبت جدارة فائقة ومهارة منقطعة النظير في الحوار الفعال . ويظهر ذلك عند محاورته للخوارج ، الذين خرجوا على علىٍ رضي الله عنه ، وخالفوه في بعض المسائل الفكرية ، ونستطيع _ من خلال الحوار الذي جرى بينه وبينهم _ أن نستخلص طريقة حوارية ابتكارية للحوار الفكري الفعال ، ولاسيما أنه كان مع فئة الشباب_ أيضاً _ فعن عبد الله بن المبارك قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي ، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول : قال على : لا تقاتلوهم ـ أي الخوارج ـ حتى يخرجوا فإنهم سيخرجون ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أُبردَ بالصلاة ؟ فإني أريد ان أدخل عليهم فأسمع من كلامهم وأكلمهم ، فقال: أخشى عليك منهم ، قال : ــ أي ابن عباس ــ وكنت رجلا حسن الخلق لا أوذي أحداً . قال : فلبثت أحسن ما يكون من الثياب اليمنية وترجلت عليهم

وهم قائلون : فقالو لى : ما هذا اللباس ؟ فتلوت عليهم القرآن : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١)

وقلت : ولقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من اليمنية ، فقالوا :لا بأس ، فما جاء بك ؟ فقلت : أتيتكم من عند صاحبي ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وصاحبه ، وأصحاب رسول الله ﷺأعلم بالوحي منكم ، وفيهم نزل القرآن ، أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم ، فما الذي نقمتم ؟

فقال بعضهم ناهياً: إياكم والكلام معه ، إن قريشاً قوم خصمون ، فقال الله عز وجل : ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾(٢)

وقال بعضهم : كلموه ، فانتحى لي منهم رجلان أو ثلاثة .

فقالوا : إن شئت تكلمت ، وإن شئت تكلمنا ، فقلت : بل تكلموا .

فقالوا : ثلاث نقمناهم عليه : جعل الحُكم إلى الرجال ، وقال الله إن الحكم إلا لله

فقلت : قد جعل الله الحُكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم : في الأرنب ، وفي المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ

(١) سورة الأعراف. الآية : ٣٢ .

(٢) سورة الزخرف. الآية : ٥٨ .

أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴾(١) . فالحكم في رجل وامرأته والعبد أفضل ، أما الحكم في الأُمة يرجع بها ، وتحقن دماؤها ويلم شعثها ؟ قالوا : نعم .

قالوا وأُخري مجانفة أن يكون أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين ، أفأمير الكافرين هو ؟

فقلت لهم : أرأيتم إن قرأت من كتاب الله عليكم ، وجئتم من سنة رسول الله ﷺ أترجعون ؟

قالوا: نعم . قلت : قد سمعتم أو أراه قد بلغكم أنه لما كان يوم الحديبية جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺفقال النبي ﷺلعلي : ((اكتب .. هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ)) فقالوا : لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك .

فقال رسول الله ﷺ لعلي : ((امح يا علي)) أفخرجت من هذه . قالوا : نعم .

قال : و أما قولكم : قتل ولم يسب ، ولم يغنم .. أي في معركة الجمل وصفين .. أفتسبون أمكم ، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ فإن قلتم : نعم ، فقد كفرتم بكتاب الله ، وخرجتم من الإسلام . فأنتم بين ضلالتين .. ، وكلما جئتهم بشئ من ذلك : أقول : أفخرجت منها ؟ فيقولون : نعم . قال : فرجع منهم ألفان و بقي ستة آلاف " (٢)

---

(١)سورة النساء. الآية : ٣٥.

(٢)الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف باب في مسير عائشة وعلى وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، باب الجمل ، ٢٥٥/١٥ ، ثر ٣٨٩١٨/٨ .

سمات الطريقة الحوارية الفكرية في هذا الحوار :

أولاً:الاهتمام بحسن المظهر والهندام ، له تأثير في الحوار ، وعلى الطرف الآخر .

ثانياً : التركيز على الموضوع وعلى المصلحة ، لا على الأشخاص والمواقف .

ثالثاً : يستحسن أن يترك المحاور الناجح الطرف الآخر يبدأ بالحوار ، حتى يستوضح وجهة نظره ، إلا إذا طلب الطرف الآخر أن يبادئه بالحور فلا بأس بذلك .

رابعاً : تجزيئ الموضوع إلى أجزاء ، حتى يسهل الرد عليه جزءاً جزءاً ، وحتى يكون ذلك أدعى إلى الرسوخ في الأذهان.

خامساً : يكون الاستدلال أقوى إذا كان من أمر معلوم لدى المستمع . وقد استخدم ابن عباس رضي الله عنه ذلك في قوله : (قد سمعتم أو أراه قد بلغكم) .

سادساً : الاستعداد دائما للتوثيق بالأدلة والبراهين ، لا بالأشخاص والرجال عملا بالقاعدة الحوارية المشهورة (إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مدعياً فالدليل).

سابعاً : التنويع في الإجابة ما بين استدلالية ، عقلية ، منطقية ، وجدانية .

ثانيا : طريقة الإمام أبى حنيفة النعمان رحمه الله في تعديل الفكر وتصحيح الرأي:

وقد برع الإمام أبو حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ في تسخير ما آتاه الله من قوة حجة في تعديل فكر منحرف أو تصحيح رأي زائغ ومن المواقف في هذا الصدد :

وما حُكي عنه أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية ، فقال لقومه : أخبروني ، قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها ، وتعود بنفسها ، فترسو بنفسها ، وترجع ، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد ! ، فقالوا: هذا مُحال لا يمكن أبداً ! فقال لهم : إذا كان هذا محالاً في سفينة ، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ! (١)

(١)شرح العقيدة الطحاوية . ابن أبى العز الحنفي ١/١٣٥ ، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٥م.

المبحث الثاني

الإرهاب الفكري أسبابه وطرق علاجه

العلاقة بين المصطلحات: " الإرهاب، التطرف، العنف " تثير معنى ما في الذهن عند سماعها، فلو رسمنا دائرة افتراضية، ترمز إلى كل معنى منها على حدة، ثم قارنا بينها، لتبين لنا أن ثمة مساحة كبيرة من تلك الدوائر مشتركة بينها جميعاً، ثم تختص كل منها بأجزاء خاصة بها.

هذا المجال المشترك من المساحة بينها، هو القدر الذي يُبْرِزُ العلاقة بين تلك المصطلحات في واقع الفكر، والسلوك الفردي والجماعي والدولي، في مظاهر الحياة المعاصرة، وهو في كل الحالات يقع خارج نطاق الوسط، والوسطية، في سلم السلوك السوي ، أي : الذي يقره ويرضى عنه المجتمع، ويدافع عنه ويجازي عليه حسب الجزاء المناسب، ووفق المعايير والنظم السائدة، ويعمل على تثبيته بطرق التربية والتنشئة الدينية والمدنية.

المطلب الأول

الأسباب الفكرية للإرهاب والعنف والتطرف :

تعود الأسباب الفكرية للإرهاب والعنف والتطرف في أغلبها إلى عدة أسباب،منها :

أولاً : معاناة العالم الإسلامي في عصرنا الراهن من انقسامات فكرية حادة

فقد تم ذلك بين تيارات مختلفة ، ومرجع هذه المعاناة وما ترتب عنها من مشكلات وانقسامات هو الجهل بالدين والبعد عن التمسك بتوجيهات الإسلام ، ومن أبرز التيارات المعاصرة، هي :

أ ـ تيار علماني : يدعو إلى بناء الحياة على أساس دنيوي غير مرتبط بالأصول الشرعية ولا بالتقاليد والعادات والموروثات الاجتماعية الأصيلة ، هي من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه ، عوائق في طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة .

ب ـ تيار ديني متطرف : يعارض المدنية الحديثة وكل ما يتصل بالتقدم الحضاري ، فهي من وجهة نظرهم ليست إلا فساداً في الأخلاق ، وتفككاً في الأسر وجموداً في العلاقات الاجتماعية ، فهم يرون أن الحضارة تجعل الفرد يعيش لنفسه ملبياً لرغباتها متنكراً للآداب والفضيلة . ولذا فكل جانب يرفض فكر الآخر ويقاومه ، وينظر إليه نظرة ريب وشك دون تمحيص وتقويم ؛ ليصل إلى الحق والمبادئ الأساسية فيها ، ليقارنها بما عنده من أصول ومبادئ يمكن أن تكون عاملاً مشتركاً يجمع بينها ويكون فيه الخير لكلا التيارين (١).

وقد حدثت أفعال عنف إرهابي في البلاد العربية والإسلامية تم ربطها بشكل أو بآخر بالغلو والتطرف الديني ، كما حدث في الجزائر ومصر والبحرين من تفجيرات

(١) انظر : دور التربية الإسلامية في الإرهاب . د/ خالد بن صالح الظاهري : ص ٦١: ٦٢ .

في السنوات الأخيرة .

ثانياً : تشويه صورة الإسلام والمسلمين :

إن دين الإسلام هو دين العدالة والكرامة والسماحة والحكمة والوسطية ، وهو دين رعاية المصالح ودرء للمفاسد .

إن أفعال الناس المنتسبين إلى الدين ، تنسب عادة إلى الدين ذاته ، فإذا غلا امرؤ في دينه فشدد على نفسه وعلى الناس ، وجار في الحكم على الخلق ، نسب الناس ذلك إلى دينه فصار فعله ذريعة للقدح في الدين .

إن الغلو في الدين في العصر الحديث شوه الدين الإسلامي الحنيف ، ونفر الناس منه ، وفتح الأبواب للطعن فيه ، فتجرأ أناس على أفعال وأقوال لم يكونوا ليجرؤوا عليها لولا وجود الغلو والغلاة ، فسمع الطاعنون في الشريعة (١) .

ومما يدل على أهمية دور الغلو في الدين كعامل فكري في تكوين السلوك الإرهابي لجميع المنظمات المتطرفة والإرهابية ؛ تمت الإشارة إلى أن الإرهابي شخص يرفض الواقع ويسعى لمحاربة المبادئ والمعتقدات السائدة ، ويرى أفراد العينة أن أصحاب الفكر السوي لا يمكن أن يلجؤوا إلى معالجة قضاياهم عن طريق القتل والتدمير أو إلحاق الضرر بالآخرين ، مؤكدين أن الفكر السوي هو الذي يعالج قضاياه وفق الطرق الشرعية ، وقد أكد أفراد العينة على أن الحماية الفكرية مطلب ضروري في وقاية المجتمعات الإسلامية من التأثر بالتوجهات الفكرية الخطيرة .

ونتيجة لكثرة العمليات الإرهابية التي استهدفت المصالح الغربية في بعض البلاد الإسلامية ، فإن الغرب يقف اليوم موقف الحذر من المسلمين ؛ بسبب الأعمال

(١)مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر . د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق : ٢/ ٦٩٣ ، الرياض ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ١٩٩٨م.

الإرهابية العديدة التي استهدفتهم في داخل دولهم وخارجها ، ونتيجة لما يصلهم من تهديدات باسم أشخاص يزعمون أنهم مسلمون يدافعون عن الإسلام ، هذا الأمر يشير إلى وجود خلل فكري ديني لدى بعض الفئات التي تؤمن الدفاع عن الإسلام والجهاد باسم الدين (١) .

ثالثاً : الانحراف الفكري والقصور في العلم الشرعي:

إن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها فكره وعقيدته، فالإنسان مقود أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة (٢).

وعلى هذا فإن السبب الرئيس للغلو وسلوك سبل العنف والإرهاب انحراف الفكر وضلاله، والتباس الحق بالباطل لدى أصحاب هذا الاتجاه.

ولهذا الانحراف الفكري أسباب، منها:

السبب الأول : الخلل في منهج التلقي؛ حيث تتلمذ طائفة من الغلاة على من لا علم عنده، أو اكتفوا بالتلمذة على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم، ويلمزونهم (٣) ، وهؤلاء الغلاة يعتدون بآرائهم، وينساقون مع أهوائهم، فيحرمون العلم النافع المتلقى من مشكاة النبوة وأنوار الرسالة، ويقعون في ضروب من الضلال، والقول على الله بغير علم، فيَضلون ويُضِلون.

وقد دلت النصوص على لزوم تعظيم العلماء، والتوجيه إلى سؤالهم، والصدور

(١) انظر : دور التربية الإسلامية في الإرهاب . د/ خالد بن صالح ناهض الظاهري : ص ٦٣: ٦٤ ، مصدر سابق .
(٢) انظر: الدين، د/ محمد عبد الله دراز : ص٩٩، دار القلم – الكويت ١٤٠٠هـ . وانظر: الفوائد .ابن القيم : ص ٢٦٠،٢٩٣، طبعة دار الفكر.
(٣)انظر: الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام د/ ناصر العقل : ٢/١٠٤-١٠٦ ، دار الوطن، ط٢ سنة ١٤١٧هـ .

عنهم، قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)، وقال ﷺ : " إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "(٢).

فالعلماء هم الذين يخلفون الأنبياء في العلم بالدين وأحكامه، وفهم نصوصه، وفي الدعوة إلى الله، وبيان ما يحتاجه الناس من أمور دينهم مما تصلح به عباداتهم ومعاملاتهم، وتستقيم به صلاتهم بغيرهم.

ولذا فإن الواجب على آحاد المسلمين الرجوع إلى العلماء الراسخين، والصدور عن رأيهم، ولاسيما في القضايا التي تتعلق بمصالح الأمة، حتى تكون أقوال المرء وأفعاله مضبوطة بالأدلة الشرعية.

كما أن على العلماء أن يوسعوا للشباب صدورهم، وأن يتلقفوهم بأيد حانية تذللهم للحق، وتصرف عاطفتهم إلى ما يرضي الله تعالى، وتوجه طاقاتهم إلى ما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والنفع.

السبب الثاني: الأخذ بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم، ولا قواعد الاستدلال، ولا الجمع بين الأدلة، ولا اعتبار لفهم العلماء، ولا نظر في أعذار الناس (٣) .

وهذا المنهج سبب لصنوف من الانحراف والضلال، وأشد ذلك وأعظمه خطراً التكفير، والحكم بذلك على الأشخاص والجماعات والأنظمة دون فقه أو تثبت، أو اعتبار للضوابط الشرعية، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر، حيث توجهوا إلى تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله، ولا سنة رسوله

(١)سورة النحل . جزء من الآية : ٤٣.

(٢)الحديث :أخرجه أبو داود في السنن كِتَاب الْعِلْمِ بَاب الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ٢ / ٥٢٣ ح(٣٦٤١) بإسناد صحيح .

(٣)انظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام . د/ ناصر العقل : ص٢٢ ، دار الوطن، ط٢ سنة ١٤١٧هـ.

ﷺ ، ورتبوا على ذلك استباحة الدماء والأموال، والاعتداء على حياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، والاعتداء على مصالحهم العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلامية.

وقد جاءت النصوص بالتحذير من التكفير، والوعيد الشديد لمن كفر أحداً من المسلمين، وليس هو كذلك، فعن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا " (١) .

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ"(٢) .

كما دلت النصوص على أن التكفير – كسائر الأحكام الشرعية – لا يتم إلا بوجود أسبابه وانتفاء موانعه، ولذا قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره كالإكراه.

هذه الضوابط ونحوها مما بينه العلماء، وفصلوا القول فيه تبين خطأ منهج أهل التكفير، وغلوهم وضلالهم عن منهج سلف الأمة.

وبالجملة فإن الواجب مراعاة قواعد الاستدلال ؛ برد المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، والجمع بين النصوص، واعتماد تفسير الصحابة رضي الله عنهم وفهمهم للنصوص، فهم قد عاشوا وقت تنزل الوحي، وأعلم باللغة ومقاصد

(١)الحديث:أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأدب باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٦ / ٢٢٦٣ ح(٥٧٥٢)

(٢)الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المناقب باب نسبة اليمن إلى إسماعيل ٣ /١٢٩٢ ح(٣٣١٧)// وفي كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ٥ / ٢٢٤٧ح(٥٦٩٨) ، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ١ / ٥٧ ح(٢٢٦)،واللفظ له .

الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين يقتدى بهم (١) ، بهذا يتوصل إلى الحق، وتحصل السلامة من الزيغ والضلال.

السبب الأخير : الجهل بمقاصد الشريعة؛ وهي غاياتها، والحكم والمعاني والمصالح التي شرعت الأحكام من أجلها (٢) ، والتي تعود إلى إقامة المصالح الأخروية والدنيوية (٣).

والواجب مراعاة هذه المقاصد حتى تكون الأعمال صالحة ومعتبرة شرعاً، وإنما يدرك هذه المقاصد الراسخون في العلم بالشريعة، وتفاصيل أحكامها، وغايات تشريعاتها.

وأما غير الراسخ في العلم فيأخذ بجزيئات من النصوص، ويقول فيها برأيه، فيهدم كليات ويعطل مصالح عامة معتبرة، وربما اقترن بالجهل بالمقاصد بعض الأهواء الكامنة في النفوس الحاملة على ترك الاهتداء بالدليل، والمانعة من الاعتراف بالعجز فيما لم يصل إليه علم الإنسان (٤).

قال الشاطبي رحمه الله : " النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة. وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه. وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له

(١)انظر: مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع ، ص١٥ ، مصدر سابق

(٢) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ، محمد الطاهر بن عاشور : ص٥٠ ، الشركة التونسية للتوزيع

(٣)الموافقات في أصول الشريعة . لأبي إسحاق الشاطبي : ١٩٥/٤، دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٧٤/٤-١٧٥.

مآل على خلاف ذلك " (١) .

ومن صور الخلل في اعتبار المصالح والمفاسد – في هذا العصر– الدعوة من بعض الجماعات أو التنظيمات إلى الاعتداء على مصالح بعض الدول المعتدية، وعلى رعاياها، في بلادهم وفي سائر الدول – الإسلامية وغيرها– ووصف ذلك بالجهاد، واعتقاد أن في ذلك تحقيقاً لمصالح الأمة.

والحق أن في هذا من المفاسد، والمخالفات الشرعية، والتعارض مع مقاصد الشريعة – ولا سيما مع النظر في واقع الأمة المسلمة اليوم مع أعدائها – ما يوجب القطع بحرمته.

فمن ذلك: إخفار ذمم المسلمين بالاعتداء على المعاهدين والمستأمنين، واستبدال الخوف بالأمن في المجتمعات الإسلامية الآمنة، وإراقة الدماء المعصومة، والإفساد في الأرض.

ومنها التنفير من الإسلام، وتهييج الأمم الكافرة، واتخاذهم من تلك الأعمال ذرائع يتسلطون بها على أهل الإسلام.

وقد ذكر العز بن عبد السلام رحمه الله : أن أي قتال للكفار لا يتحقق به نكاية بالعدو فإنه يجب تركه، لأن المخاطرة بالنفوس إنما جازت لما فيها من مصلحة إعزاز الدين والنكاية بالمشركين، فإذا لم يحصل ذلك وجب ترك القتال، لما فيه من فوات النفوس، وشفاء صدور الكفار، وإرغام أهل الإسلام، وبذا صار مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة(٢).

(١)المصدر نفسه ١٧٥/٤.

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام . للعز بن عبد السلام : ٩٥/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت.

المطلب الثاني

معالجة ظاهرة الإرهاب والتطرف الفكري

لا يمكن معالجة هذه الآفة التي تتهدد وحدة جماعة المسلمين بدون وضع آليات وضوابط وقواعد لتصحيح أقوال وأفعال المتطرفين فكريا ، منها :

القاعدة الأولى :إقناعهم بأن الحق يقبل من أي جهة جاء

● من أسس الحوار لرد أولئك النفر المتبنين للتطرف الفكري قولاً وعملاً أنَّ الحق يقبل لكونه موافقاً للدليل، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه؛ ولهذا كان أهل السنة (جماعة المسلمين) يقبلون ما عند جميع الطوائف من الحق، ويردون ما عندها من الباطل، بغض النظر عن الموالي منها أو المعادي .

قال تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١) .

وفي دعاء النبي ﷺ: "... اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٢).

وقال تعالى : ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٣)، ومن العدل فيهم قبول ما عندهم من الحق .

وهكذا أدبنا القرآن الكريم حين ساق كلام بلقيس–وقت كفرها– ثم وافقها

---

(١) سورة البقرة . الآية : ٢١٣

(٢) الحديث من رواية عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ : أخرجه مسلم في الصحيح كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٢ / ١٨٥ح(١٨٤٧).

(٣) سورة المائدة . الآية : ٨ .

عليه؛ قال تعالى–حكاية عنها–:﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ قال الله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(١).

ولما دلّ الشيطان أبا هريرة ﷺإلى آية الكرسي لتكون له حرزاً من الشيطان، وذلك مقابل فكه من الأسر، قال له النبي ﷺ:"أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ ، وَهُوَ كَذُوبٌ "(٢).

وقد قبل عليه الصلاة والسلام الحق من بعض اليهود ففي سنن النسائي عن قتيلة – امرأة من جهينة – أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت (٣).

وكان معاذ بن جبل ﷺيقول: اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً– أو قال فاجراً– واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نوراً(٤) .

ولهذا قال ابن تيمية: " ولكنّ الحق يقبل من كل من تكلم به "(٥).

ولا شك أن رسوخ مثل هذه المعاني في أذهان المسلمين من أكبر الدوافع إلى الإذعان للحق والرضوخ له مهما كان قائله ، ويجعل المسلم مستسلماً للحق دوماً ، قابلاً له ، وهذا من شأنه أن يقضي على التعصب المقيت الذي يحمل صاحبه إلى المنابذة والإصرار على الباطل ، لا لشيءٍ إلا لأن القائل بالحق ليس من جماعته أو

(١) سورة النمل . الآية : ٣٤ .

(٢) الحديث : أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الوكالة بَاب إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ ٢ / ٦٧ ، ٦٨ ح(٢٣١١) ، واللفظ المذكور من هذا الموضع // وفي كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ٢ / ٣٣٠ ح(٣٢٧٥) // وفي كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة ٣ / ٣٢٧ح(٥٠١٠) .

٣ـ الحديث : أخرجه النسائي في المجتبى كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة ٧ / ٦ ح(٣٧٧٣) بإسناد صحيح .

٤ـ الأثر : أخرجه أبو داود في السنن كتاب السنة باب لزوم السنة ٢ / ٢١٦ ثر(٤٦١١) بإسناد صحيح .

(٥)مجموع الفتاوى ٥ / ١٠١.

حزبه أو لربما بلده ، وهذا هو عين الإرهاب الفكري حيث يصبح المرء أحادي النظرة ، نابذاً لآراء جميع مخالفيه ، غير مستعدٍ لأن يتمعن في مقولتهم فضلاً عن أن يقبلها .

إن من شأن التربية القرآنية أن تزيل كل الحواجز التي تقف بين المسلم وقبول الحق ، فإن قبول الحق متى بان خير من التمادي في الباطل ، ولا غضاضة ولا منقصة عليه في ذلك ، فإذا كان سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه قد قبل ذلك الحق من اليهودي ، فكيف بآحاد المسلمين ممن يلوح له الحق على لسان من هو خير من ذلك اليهودي ؟! .

القاعدة الثانية : وجوب عرض أقوال الناس على الشرع :

من القواعد التي يجب إرساؤها في حوار المتطرفين فكرياً ، ما يقوله سائر الناس من الكلام في المطالب الشرعية لا بد من عرضه على الكتاب والسنة، فإن وافق الكتاب والسنة فهو حق يقبل، وإن خالفها فهو باطل يرد.

ولهذا كان الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ينهون أتباعهم عن تقليدهم في كل شيء ، يقول أبو حنيفة : إذا خالف الحديث قولي فاضرب بقولي عرض الحائط ، ويقول مالك : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ، يقصد النبي ﷺ ، ويقول الشافعي : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، ويقول أحمد : لا تقلدني ولا تقلدن أبا حنيفة ولا مالكاً ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا ، وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه الرجال ، قال ابن القيم : ولأجل هذا لم يؤلف الإمام أحمد كتابا في الفقه ، وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك (١).

(١)انظر : القول المفيد في حكم التقليد . للشوكاني : ص ٢٥ ، ٣٨ ، ٤١، الطبعة الأولى دار القلم بالكويت ،١٣٩٦هـ

فقد ذم الله تعالى في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول ، وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد ؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال الله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣)

وقال : ﴿ فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعاً من القرآن وطاعته طاعة لله : وهي : عبادة الله وحده لا شريك له وذلك هو دين الله وهو الإسلام ، وكل من أمر الله بطاعته من عالم وأمير ووالد وزوج ؛ فلأن طاعته طاعة لله.

وهذه القاعدة ذات أثر كبير في حماية المجتمع من الغلو في المتبوعين ، ورفعهم فوق منزلتهم التي جعلهم الله عليها ، فإن العصمة ليست لأحد من البشر إلا لأنبياء الله ورسله ، وبعضهم قد يجعل لمتبوعه قداسة من حيث لا يشعر ، فيذعن لقوله ،

(١) سورة النساء . الآية ٦٥ .
(٢) سورة النور . الآية : ٥١
(٣) سورة الأحزاب . الآية : ٣٦ .
(٤) سورة النور . الآية : ٦٣ .

ويسلم لأمره ، حتى وإن تبين له أنه على خلاف الحق ، وبهذا تظهر الآراء الشاذة والأفكار المنحرفة التي قد تجر ويلات على الأمة الإسلامية برمتها ، وما ذاك إلا بسبب التقليد الأعمى ، والغلو المذموم في القادة والمتبوعين ، وشأن المسلم أن يدور مع الحق حيث دار ، وأن يتحرى وجه الصواب في كل مسألة يقدم عليها ، ولا سيما في المسائل التي تعم فيها البلوى ، وتأخذ طابعاً عمومياً للأمة المسلمة ، فينبغي أن يكون صدور الفتوى فيها من هيئات شرعية تأخذ بالاجتهاد الجماعي ، كالمجامع الفقهية ولجان الفتوى التي يكون على رأسها علماء ثقات ، لأن الرأي الجماعي أحرى بإصابة الحق بإذن الله من الرأي الفردي .

ولهذا كان علماء الأمة يحذرون من زلة العالم ، فإن العالِم إذا زل، زل بزلته عالَم ، وفي حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً:" وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين "(١)

القاعدة الثالثة : لا تجوز معارضة القرآن والسنة برأي أو عقل أو قياس

وهذه القاعدة من القواعد التي يجب إرساؤها في حوار المتطرفين فكريا الذين يأتون برأيهم وآراء من يسيرون وراءهم كالخراف الضالة ويجعلونها فوق قول الله وقول رسوله ﷺ ، وفي هذا يقول ابن تيمية : " من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده ؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ، فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به ، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ، ولا بذوق ووجد ومكاشفة ، ولا قال قط : قد تعارض في هذا العقل والنقل ، ولا فيهم من يقول : إن له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث ، فضلا عن أن يدعي أحدهم

(١) الحديث : أخرجه أبو داود في السنن كتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ٢ / ٤٩٩ ح(٤٢٥٢) بإسناد صحيح .

أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول ، وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته "(١)

ولا شك أن الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة التي تدعو إلى الحكمة والحوار والمجادلة بالحسنى خير وسيلة للقضاء على ظاهرة الإرهاب والتطرف بشتى أنواعه ، فينبغي أن يكون التحاكم مع المخالفين من المسلمين إلى قاعدة متفقٍ عليها ، وأرضية مشتركة بين الطرفين ، إذ إن من قواعد الجدل والمناظرة : " أن الاستدلال على المسألة المتنازع عليها إنما يكون من الدليل المتفق عليه " ، ولا يمكن أن تتفق الأطراف إلا على الكتاب والسنة ؛ لأن الآراء تختلف ، والعقول تتفاوت ، والأهواء تتباين ، فكان لزاماً أن تزال الشبهة عن الخارجين قبل أن تستخدم معهم العقوبات ، كما نص على ذلك أهل العلم في أبواب قتال أهل البغي من المسلمين

ومن مآثر الخليفة عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – أنه يروى أنه فور توليه الخلافة كتب إلى قائد الخوارج – تلك الفرقة التي دوخت الخلفاء من قبله ، ولم تنفع معها لغة السيف – ويقال له : بسطام ، يقول له : " ما أخرجك علي؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني، وبيني وبينك كتاب الله ، فهلم أناظرك ، فإن رأيت حقاً اتبعته ، وإن أبديت حقاً نظرنا فيه ، فما كان من قائدهم بعد أن بغته الخليفة بتلك الحجة ، وهو أمر لم يعتد عليه إلا أن أذعن لمقولته ، وعقدت المناظرات بين أهل السنة والخوارج ، ولذا لم تقم لهم قائمة في خلافته(٢).

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٧ .

(٢)انظر : البداية والنهاية . لابن كثير ٩ / ١٩٦ .

القاعدة الرابعة :المخالفون لجماعة المسلمين ليسوا على درجة واحدة :

ضرورة إفهام هؤلاء أن المخالفين لجماعة المسلمين ليسوا على درجة واحدةفمنهم المجتهد المخطئ ، والجاهل المعذور ، والمتعدي الظالم ، وفيما يأتي تفصيل كل منهم :

أولاً : المجتهد المخطئ :

يقول ابن تيمية : " ليس كل من خالف في شيء من اعتقاد الفرقة الناجية يجب أن يكون هالكاً ؛ فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى ، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا كما يقال من صمت نجا" (١) .

ثانياً: الجاهل المعذور :

فهذا يعذر لجهله ، حيث لم تقم عليه الحجة ، وفي هذا يقول ابن تيمية : " لا ريب أن الخطأ فى دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان ذلك في المسائل العلمية ، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة ، وإذا كان الله يغفرلمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل مع كونه لم يطلب العلم فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذه بما أخطأ تحقيقا لقوله ربنا لا

(١)مجموع الفتاوى ٣ / ١٧٩ .

تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " (١).

آخراً :المتعدي الظالم :

وهو من يأثم ببدعته ، ولا يصل به الأمر إلى الكفر ، وضابط هؤلاء كما يقول ابن تيمية :"أن من كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها أو لاتباع هواه بغير هدى من الله فهو الظالم لنفسه ، وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطناً وظاهراً الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهذا مغفور له خطؤه " (٢).

(١)مجموع الفتاوى ٢٠ /١٦٦ .

(٢)مجموع الفتاوى ٣ / ٣٥٤ .

المبحث الثالث

الحوار الفكري والتقريب بين المذاهب الإسلامية

تمهيد : _

تشتد اليوم موجة التشكيك حول مفهوم التقريب، بوصفه مفهوماً يتصل بمجال العلاقات بين المذاهب الإسلامية، ولأول مرة ترتفع وتيرة هذه الموجة من التشكيك،ولا شك أن هذه الموجة من التشكيك، واشتدادها وارتفاع وتيرتها اليوم، جاءت متأثرة بطبيعة الأوضاع والظروف المتأزمة في مجتمعات المسلمين، التي نشهد فيها ما يمكن تسميته بانفجار المشكلة المذهبية أو الفتنة المذهبية، المشكلة التي باتت شديدة الظهور والانكشاف.

ولأول مرة في التاريخ الإسلامي الحديث، وتحديداً منذ بداية القرن العشرين تظهر هذه المشكلة بهذا الانكشاف، وبهذا الاتساع المخيف والمرعب، الذي بات يقلق جميع العقلاء والحكماء في الأمة، وكل المتنورين والمصلحين، وعند النظر في هذه التشكيكات، يمكن التوقف أمام ثلاثة أنماط منها، تختلف من حيث الدرجة والشدة، ومن حيث البواعث والخلفيات، ومن حيث منظورات الرؤية، وهذه الأنماط هي:

أولاً: هناك من يرى أن مفهوم التقريب كان وما زال مفهوما ملتبساً، منذ الإعلان عنه في أربعينيات القرن العشرين إلى اليوم، بشكل يصعب الإمساك بمضمونه، والاتفاق على هويته وماهيته، ونظراً لهذا الالتباس فإن المقولات الاحترازية هي التي تتقدم عند بيان هذا المفهوم، وشرحه من قبل المنخرطين في عملية التقريب.

وهذا القدر ليس كافياً في تحديد المفهوم وضبط مضمونه، والاتفاق عليه، ولكون هذا المفهوم بقي ملتبساً، فإن التباسه يمثل أحد عوامل عدم تحقق وتحقيق مضمونه فعلياً على الأرض، وفي ساحة المسلمين (١)

ثانياً: هناك من يرى أن مفهوم التقريب أصبح مفهوماً يرجع بنا إلى الوراء، ويجعلنا ننظر إلى الخلف، وتحديداً إلى تجربة دار التقريب في أربعينيات القرن العشرين، في حين أن الأوضاع العامة للأمة اليوم اختلفت كلياً وعلى المستويات كافة، وأصبحت أكثر تعقيداً.

وظهرت في ساحة المسلمين مشكلات وأزمات خطيرة للغاية، أدت في بعض الحالات، وفي بعض المجتمعات إلى حالة من الاقتتال، وهددت ولأول مرة بحصول حروب دينية بين المسلمين، وهذا ما لم يحصل في كل التاريخ الإسلامي. ومن جهة أخرى، تغيرت صورة العالم في ظل عصر العولمة، وثورة المعلومات، وفي ظل التطورات المذهلة في شبكات الإعلام، وتكنولوجيا الاتصال، إلى جانب أننا

(١)محنة التقريب بين السنة والشيعة، القاهرة . أ / معتز الخطيب : ص١٥٠، دار نهضة مصر، ٢٠٠٩م .

انتقلنا من القرن العشرين إلى القرن الحادي والعشرين. الوضع الذي يقتضي عند القائلين بهذا الرأي، البحث عن مفهوم آخر غير مفهوم التقريب، يكون أكثر وفاء واستجابة لهذه التطورات والوضعيات الراهنة في الأمة والعالم، وفي هذا الصدد هناك من يدعو إلى مفهوم التآخي بين المسلمين كبديل لمفهوم التقريب أيضاً.

ثالثاً: هناك من أظهر تحفظاً على مفهوم التقريب، واعتراضاً عليه أحياناً، وتبنى بدلاً منه مفهوم التعايش، وجاء هذا الموقف على خلفية أن مفهوم التقريب لكونه يتصل بالمجال الفكري والمذهبي والكلامي، وهذا من غير الممكن، في حين أن مفهوم التعايش لكونه يتصل بالمجال الاجتماعي وله علاقة بالسلم المجتمعي، فإنه ممكن، ويمثل ضرورة من هذه الناحية.

التقريب بين المؤيدين والمعارضين

إن قضية التأليف بين فصائل الأُمة ، والسعي في إصلاح ذات بينها وجمع شملها على الحق والهدى ، ورأب صدعها والتقريب بين فئاتها المتنازعة من أعظم أصول الإسلام العظيمة ، ومن أفضل أبواب الخير والجهاد في سبيل الله ، وكما أن الاجتماع والتآلف إنما هو مكسب عظيم ونجاح كبيرٌ للأمة في حاضرها ومستقبلها ، فإن ادعاء عدم وجود خلاف أساساً على الرغم من وجوده أمرٌ خطير ؛ لأن هذه فتوى وحكم على الضلال والباطل بالإسلام ، وهذا باب من أبواب الصد عن سبيل الله وشرعه ؛ لأن أصحاب ذلك الضلال إذا ظنوا أن ما هم عليه هو الإسلام

، ثم رأوا ذلك فاسداً في العقل شكّوا في الإسلام كله ، وذهبوا يبحثون عن " مذاهب وعقائد " أُخرى ، ومن هنا فلا بد أن يكون هذا الحكم قائماً على بينة ؛ لأن التستر على الخلاف لا يؤدي إلى إزالته ، بل يؤدي لاستمراره واستفحاله ، ومحاولة المريض إيهام نفسه بالسلامة تجره إلى مدرجة الهلكة ؛ لذا كان خير الطرق معرفة واقع الأمر ، وحقيقة المشكلة ، والبحث عن الحل لذلك (١)

لقد كان لظهور الأفكار والمذاهب والطوائف آثارا بعيدة المدى في تفريق الأُمة ، وكان أنكى صراع وأطول نزاع وأخطر اختلاف ما حصل بين السنة والشيعة ، فلقد شهد التاريخ أحداثاً دامية تمثلت في الصراع العنيف الذي دار بين الطائفتين ، واستمر قائماً ، حتى وصل أشده في وقتنا الراهن ـ من اقتتال للشيعة مع أهل السنة بالعراق ، والشيعة العلوية في سوريا ، والزيدية الحوثية المدعومة من إيران باليمن ـ يزداد أو يخف على اختلاف المراحل التاريخية ، وإلى يومنا هذا يشتد الصراع ويزداد لهيبه ، ويبدو أن الأعداء يريدون أن يستثمروا الخلاف بين أهل السنة والشيعة ، بتوسيع نطاقه ، وتأجيج حدته ليحققوا مكاسب أكبر (٢)

لذا تختلف وجهات النظر تجاه مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية ما بين مؤيد ومعارض وكل له حججه ، بل لقد قام باحثون أكاديميون بدراسة الموضوع دراسة مستفيضة ، وانتهوا إلى أنه قد كثر الحديث من العلماء والدعاة في السنوات

(١)انظر : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. د/ ناصر بن عبد الله القفازي (القسم الأول) ١/ ٥ ، ١٠ ، الطبعة الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ .

(٢) المصدر نفسه : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة : (القسم الأول) ١/ ٦ .

الأخيرة حول فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، لاسيما والعالم يتحدث عن تقارب الأديان؛ فيكون التقريب في دائرة الدين الواحد من باب أولى. وهذه الفكرة في حدِّ ذاتها تحمل في أثنائها كثيراً من الخير والأمل في خروج الأمة مما هي فيه من الضعف والانهزام أمام أعدائها، غير أنَّ الداعين إليها يريدونها أن تقوم على أحد أمرين:

الأول: أن تقوم الوحدة بين هذه المذاهب والفرق على أساس المجاملة وغضِّ الطرف عن العقائد المتعاكسة في الاتجاه.

الآخر: أن تقوم الوحدة على حساب طرف واحد دون الآخر، حيث يطلب إلى الأول التنازل عن كثير مما يعتقد، بينما يبقى الطرف الآخر محتفظاً بجميع الموروث الذي تلقاه عن سلفه، ليس لديه استعداد للتنازل عن أدنى مسألة خلافية.

المطلب الأول

وجهة النظر المعارضة للتقريب بين السنة والشيعة وأهم عوائق التقريب

ينظر أصحاب هذا الوجهة إلى أن محاولات التقريب الكثيرة التي قامت بين أهل السنة والشيعة والتي لم يتمخض عنها تغييرات في الرؤي غير تنازلات من أهل السنة ، حيث انتهت اللقاءات على أنه لا خلاف بين الفريقين ، طالب الشيعة باعتبار مذهبهم مذهباً خامساً ، وأصدر الشيخ / " محمود شلتوت " فتواه بجواز التعبد بالمذهب الجعفري ، ونَشَر الشيعة في ديار السُنة بعض كتبهم الفقهية ، ودعا بعض المنتسبين للسنة برجوع السنة إلى كتب الشيعة في الحديث كما يرجعون إلى صحيح البخاري وغيره من كتب السنة (١) ، كما قام بعضهم بتحقيق بعض كتب الشيعة في ديار السنة ونشرها ، ولم يحصل شيء من ذلك في ديار الشيعة ، وكأن التقصير في مسألة التقريب هو من جانب السنة .

من هنا يرون : أن مسالة التقريب والتأليف والوحدة استغلت لإعطاء الباطل صفة الشرعية ، ومنح الدخيل من الأفكار صفة الأصيل ، لتبقي بذور الفتنة وأسس الخلاف بين الأُمة لتشتعل في أي لحظة يراد لها ،كما تم اختزال الخلاف بين الفريقين على أنه خلاف كخلاف المذاهب الفقهية ؟ ! .

(١) انظر:الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة " وثائق خطيرة وبحوث علمية لأعاظم علماء المسلمين من السنة والشيعة ، جمع وترتيب . عبد الكريم الشيرازي : ص ٢٠ . من المقدمة للشيخ شلتوت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

والحق أن هناك عديداً من القضايا العقدية التي تحول دون التقريب ، من أهمها قضيتان :

القضية الأولي : قضية الإمامة عند الشيعة

يقول الشيخ الدكتور علي السالوس: "وإذا كانت مسألة الإمامة في ذمة التاريخ، فلا حاجة لإثارتها، وخلاف الأمس لا يمنع تقريب اليوم، ومن هنا كانت رسالتي للدكتوراه عن أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله، وللأسف الشديد أنني وجدت هذه العقيدة الباطلة قد أفسدت الكثير من أصول الفقه، ودخلت جميع أبواب الفقه. فكيف تكون دعوة التقريب؟

إن قلنا للشيعة: دعوا مسألة الإمامة في مجال العقيدة ولا تجعلوا لها أثراً في التشريع وأصوله حتى تصبحوا كأيٍّ مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة، أفيقبلون؟ وإذا كانوا لا يقبلون، بل لم توجه لهم هذه الدعوة، أفنؤمن نحن بعقيدتهم الباطلة؟ لهذا يجب أن تكون دعوة التقريب على هدى وبصيرة. ولذا رأيت أن أجعل بين أيدي المسلمين، ودعاة التقريب منهم، بعض الكتب التي تبين الفوارق بين السنة والشيعة في مجالات مختلفة، ليفكروا في هذه الفوارق، ولنحدد كيف تكون دعوة التقريب، ومن الذي يجب أن يترك رأيه ويقترب من الآخر " (١)

(١) مع الاثني عشرية في الأصول والفروع د/ على أحمد السالوس : ١ / ٥-٦ ، طبعة دار الفضيلة . الرياض ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

والسؤال: هل الشيعة مستعدون للتنازل عن أساس معتقدهم الذيي شقوا وحدة الصف الإسلامي بسببه : " إن معتقدهم في الإمامة وما ينبني عليها تمنع التقريب وتحول دونه ، فإن هذه العقيدة لا تصح إلا بالطعن في خير أمة أخرجت للناس ، حيث تعتبر باقي الصحابة ـ وحاشاهم ـ مقرين للمعصية راضين عنها " (١)

وأكثر طروحات التقريب اليوم هي التقريب بين أهل السنة والجماعة والشيعة الاثني عشرية، فَلْنقرَأ الموروث الشيعي في نظرته لأهل السنة، والتطبيق العملي اليوم لهذا الموروث أولاً، وبعدها نحكم على إمكانية تطبيق هذه الوحدة على أرض الواقع؟

يعتقد الشيعة الرافضة أنَّ أهل السنة والجماعة جميعهم نواصب؛ لأن مفهوم النصب عندهم مختلف عما عليه عند أهل السنة؛ إذ هو في اصطلاحهم: من أقرَّ بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فقد ذكر الحلي عن الإمام الصادق – كذباً وزوراً – أنه قال: " من قَدَّم علينا أهل البيت فقد نصب لنا العداوة " (٢)

فالنواصب عند الرافضة ليس من أبغضوا علياً ، وإنما كلُّ من قال بصحة خلافة الخلفاء الراشدين من قبله، فأهل السنة إذ نواصب ، ولهذ طُرح سؤال على أحد فقهائهم : ما حكم الناصبي في عقيدة الرافضة؟

(١) المصدر نفسه : ص ٥ ، ومن أراد الاستزادة فيما تعج مؤلفاتهم وتفسيراتهم للقرآن الكريم بالغلو والإرهاب الفكري والتطرف ص : ١٠ ـ ١٣ .

(٢) الرسائل التسع .للحلي أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي ، تحقيق : رضا الاستادي ٢٧٧، الطبعة الأولي ، الناشر : مكتبة آية الله العظمي المرعشى . بقم ، ١٤١٣هـ

قال ابن بابويه: ولا يجوز الوضوء بسؤر اليهودي والنصراني وولد الزنا والمشرك، وكل من خالف الإسلام، وأشد من ذلك سؤر الناصبي (١)

وروى الطوسي عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عن المرأة العارفة هل أزوّجها الناصبي ؟ فقال: لا؛ لأن الناصب كافر، قال: فأزوجها الرجل غير الناصب ولا العارف؟ فقال: غيره أحب إليَّ منه.(٢)

إن مما يقوله ويعتقده أهل السنة والجماعة ، أن من اختاره المسلمون من الأئمة الذين مضوا وعقدت لهم الإمامة كانوا هم الأئمة ، خلافاً لمن حصرهم بعدد معين ، وأبطل إمامة من سواهم ، ومما يعتقده أهل السنة والجماعة _ أيضاً _ أن من أصول السنة لزوم الجماعة وترك الشذوذ والفرقة ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾(٣)

القضية الأخرى : مصادر تلقي العقيدة:

من المعلوم أن أهل السنة والجماعة يتلقون عقيدتهم الصافية من كتاب الله وسنة رسوله : " فأما أهل السنة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة ، وقدوتهم العملية صحابة رسول الله ﷺ " (٤) ، وبعض أهل البدع يركن في تلقي عقيدته إلى

(١)الاستبصار فيما اختلف من الأخبار . لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ١: ١٨، الطبعة الثانية . دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٢م.

(٢) المصدر نفسه . الاستبصار فيما اختلف من الأخبار ٣:١٨٤.

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٠٣

(٤) مناقب الشافعي . أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : ص ٤٦٢، دار التراث ، القاهرة، الطبعة الأولي ١٣٩١هـ .

العقل ولا يعول على النصوص ، وتنفرد طائفة الشيعة بأنها تتلقى السنة من أئمة مع الرسول ﷺ ، فالسنة عندهم هي قول (المعصوم) والمعصوم ليس رسول الله ﷺ فحسب كما هو اعتقاد أهل السنة ، بل ادعوا العصمة لآخرين تختلف أعدادهم وأعيانهم باختلاف الفرق الشيعية .

لقد سلك أهل السنة والجماعة المسلك الشرعي في تفسير كتاب الله ، وابتعدوا عن التأويلات البعيدة ، والتكلفات الغريبة على مالا تسيغه بلاغة القرآن وأسرار الشريعة ولغة العرب ، وقالوا: " وأحسن الطرق في التفسير تفسير القرآن بالقرآن ، وإلا فبالسنة ، وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة ، وإلا فبما أجمع التابعون عليه " (١)

وقد حذروا من قبول المرويات الضعيفة في التفسير : " والمنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره " (٢)

وأما عن السنة النبوية المطهرة فهي المبينة للكتاب ؛ إذ هي سنة المعصوم ﷺ وليس لأحد عصمة بعده ، وتمثل وجود السنة في دواوين الإسلام المعروفة والمشهورة ، مثل صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن ، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وسنن الدرامي ، وموطأ مالك ، والمسانيد المعروفة كمسند الإمام أحمد وغيره .

(١) مجموع الفتاوي . شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٣٦٣/١٣ ، مصدر سابق .
(٢) المصدر نفسه ٣٤٦/١٣

وهناك مدونات خاصة بالعقيدة اقتصر جامعوها أحاديثها على مسائل الاعتقاد ، وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في عقائد أهل السنة . مثل: حماد بن سلمة ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدرامي ، وعثمان بن سعيد الدرامي ، وغيرهم في طبقتهم ، ومثل ما بوب البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم مما يتعلق بالعقيدة .ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه لعرفوا أنه قد حُرف عن موضعه ، كما وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدها ، فقال : لا أعرف هذه ، ولكن حدثني فلان ، ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح ورد كل متن إلى سنده (١)

ولقد اعترف الشيعة بتثبت أئمة أهل السنة في رواية الحديث في كتاب السرائر ـ وهو من كتبهم المعتبرة ، قال صاحب البحار: " كتاب السرائر لا يخفي الوثوق عليه وعلى مؤلفه على أصحاب السرائر _ وفيه قال أي راوي الحديث يسأل أبا عبد الله (يعنون جعفر الصادق) : هؤلاء ـ يعني بهم أئمة السنة _ يأتون بالحديث مستوياً كما يسمعونه ، وإنا ربما قدمنا وأخرنا وزدنا ونقصنا " (٢)

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري . أحمد بن حجر العسقلاني : ص ٤٨٦ ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء والإرشاد . الرياض .

(٢) السرائر . محمد بن إدريس الحلي : ص ٤٧٦، المطبعة العلمية ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ .

لهذا يجد المُطالع لكتب الشيعة ورسائلهم القديمة والحديثة ذلك الحشد من النصوص التي يزعمون أنها أخذوها من مصادر أهل السنة ، وهي تؤيد مذهب الشيعة وتطعن في مذهب أهل السنة ، ويحتجون بها لصحة مذهبهم على أهل السنة ، وينعون بواسطتها المتشككين والمتحيرين من بني مذهبهم ، ولهم في ذلك وسائل وطرق متعددة حتى وصفها صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية بأنها كثيرة جدا لا تدري اليهود بعشرها (١) ، وقد أقرت طائفة منهم بالوضع بعد ما انكشف حالهم ، وتلك الأحاديث الموضوعة موجودة إلى الآن في المعاجم والمصنفات ، وقد تمسك بها أكثر التفضيلية (٢) ، والمتشيعة (٣)

ومن تدليسهم على من يجهل بعلم الرجال أنهم ينظرون في أسماء المعتبرين عند أهل السنة ، فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا له رواية حديث ذلك الشيعي إليه ، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيَعتبْر قوله ويعتد بروايته ، كالسُّدي : فإنهما رجلان : أحدهما السدي الكبير ، والثاني السدي الصغير ، فالكبير : إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ،حجازي ،من ثقات أهل السُنة، سكن الكوفة أخرج له مسلم توفي سنة ١٢٧هـ ، والثاني : السُّدي الصغير من

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية . نقله من الفارسية إلى العربية . غلام محمد الأسلمي ، اختصره : محمود شكري الألوسي : ص ٢٥ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

(٢) التفضيلية أو المفضلية : هم الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر من الزيدية وغيرهم ، انظر : التسعينية : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: ص ٤٠.

(٣)مختصر التحفة الاثني عشرية : ص ٢٥

الوضاعين الكذابين رافضي غالٍ: محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي ([1])

وطبعيٌّ أن تتشابه الأسماء والكني والألقاب ، ولكن من غير الطَّبعِيَّ أن يُستغل هذا التشابه في القيام بدس فكري رخيص يفرق الأُمة ، ويبعث النزاع ، ويضلل الباحثين عن الحق ، ولكن هذا المسلك سرعان ما ينكشف ، إما لمخالفته لصريح القرآن وإما لمناقضته ما جاءت به السنة الصحيحة مناقضة بينة ، قال ابن الجوزي: " ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع ! " ([2])

ومن تدليس الشيعة وضلالهم أنهم ينسبون بعض الكتب التي نحلوها لكبار علماء أهل السنة ككتاب (سر العالمين) الذي نسبوه لحجة الإسلام "أبي حامد الغزالي" ، وذكروا في خطبة الكتاب على لسانه ، وصيته بكتمان السر وحفظ هذه الأمانة ، وما ذكر في هذا الكتاب فهو عقيدتي ، وما ذكر في غيره فهو للمداهنة [3]، ويرجعون لهذا الكتاب في مؤلفاتهم المعاصرة ، ويحتجون ببعض ما فيه على أهل السنة ، ويشير الدكتور . عبد الرحمن بدوي إلى أن ثلاثة من من المستشرقين ذهبوا إلى أن هذا الكتاب منحول ، وهم (جولدتستهير ، بويج ، مكرونالد) ، وهو يقطع به ويحتج لذلك فيقول : " والأمر الذي يقطع بأن الكتاب ليس للغزالي هو ما ورد

(١) راجع : الكاشف . للذهبي ٧٧/١، تقريب التهذيب . ابن حجر : ١٢٣/١

(٢) الموضوعات . أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ١/ ١٠٦،، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦هـ .

(٣)مختصر التحفة الاثني عشرية : ص ٣٣

ص ٢٨ من قوله : (أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبته يوسف بن على شيخ الإسلام) فإن المعري توفي سنة ٤٤٨هـ ، بينما وُلد الغزالي سنة ٤٥٠ هـ فكيف ينشده لنفسه ؟! " (١) ، فهل هؤلاء لديهم جرح وتعديل للأخذ والنقل منهم في أصول الدين وفروعه ؟! .

(١) مؤلفات الغزالي . د/ عبد الرحمن بدوي : ص ٢٧١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م.

المطلب الثاني

وجهة النظر المؤيدة للتقريب بين السنة والشيعة :

تبني وجهة النظر هذه علماء وشيوخ ومفكرين كبار في العالم الإسلامي لهم وزنهم وقيمتهم العلمية هدفهم جمع كلمة الأُمة المتفرقة وفتح أفاق للحوار بدارة أرحب وأوسع ، ومن هؤلاء الدكتور الشكعة فقد دعا إلى ذلك قائلاً : " وإذا أمعنا النظر جيداً واطرحنا الأفكار البالية الجامدة خلف ظهورنا ، فإننا لن نجد كثير خلاف بين كلٍ من مذهب السنة ومذهب الشيعة الإمامية ، ومذهب الشيعة الزيدية ، وكذلك لن نجد كبير خلاف بين السنة وبين الإباضية " (١)

وتلك دعوة مطلقة على عواهنها لم تنظر إلى ما بين المذهبين من اختلافات شتي حول مصادر تلقيها ، وحول العقائد والأفكار التي يؤمن بها الشيعة على اختلاف فرقهم ، ربما كان عليها أن تتريث ، وتطلق الدعوة لفتح الحوار والتلاقي بدل الافتراق والتنافر ، لحين استقراء ما في جعبة القوم من طرح لديهم .

وهناك محاولات حوار فكرية عقدية تذكر فتشكر حاولت القضاء على ذلك الصراع العقائدي والفكري والدموي العنيف ، وقد كانت أكبر محاولة للتقريب على أساس اتباع الحق هو ما حدث بين السنة والشيعة في القرن الثانى عشر الهجري في اجتماع بين ممثلي الطرفين برئاسة علامة العراق " عبد الله السويدي "

(١) إسلام بلا مذاهب . دكتور : مصطفي الشكعة : ص ٥٢٩ ، نشر الدار المصرية اللبنانية ، ط١١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

(١) ، وإشراف وتدبير " نادر شاه " (٢) ، وقد سبقتها وتلتها لقاءات ، إلا أن هذه أهمها :

أولاً : مؤتمر النجف عام ١١٥٦هـ

وصف هذا المؤتمر بأنه أعظم مؤتمر عقد في تاريخ المسلمين للتفاهم بين الشيعة وأهل السنة المحمدية ، وكان الأول من نوعه في المجتمع الإسلامي ، عقد هذا المؤتمر في يوم الخميس ٢٥ شوال سنة ١١٥٦هـ ، في النجف في الموضع الذي تحت المسقف الذي وراء الضريح المنسوب إلى الإمام عليٍ رضي الله عنه ، فقد كان الصراع الذي يحدث بين السنة والشيعة في مملكة نادر شاه هو الذي حدا به لعقد هذا المؤتمر للتفاهم بين الطائفتين ، وهذا ما عبَّر به نادر شاه للسويدى في قوله له : أتدري لم أدركتك ؟ فقال السويدي لا : فقال نادر : إن في مملكتي فرقتين تركستان وأفغان يقولون للإيرانيين (أنتم كفار) ، والكفر قبيح ، ولا يليق أن يكون في

(١) هو أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين الدوري السويدى ، ولد في بغداد عام أربع ومائة وألف ، وقد تلقى العلم على طائفة من علماء العراق والحجاز والشام ، فالدوري نسبة إلى " الدور" قرية شرقي دجلة على شاطئها فوق سرمن رأي ، "والسويدي" نسبة إلى عمه (أخو أبيه من الأُم) أحمد بن سويد الذي كفله بعد وفاة أبيه (توفي أبوه وكان عمره خمس سنوات) ، انظر : النفحة المسكية في الرحلة المسكية .. عبد الله السويدي : ص ٣ ، ٤ ، نقلاً عن مسألة التقريب بين السنة والشيعة (القسم الثاني) هامش ص ١٥٥،

(٢) نادر شاه " : نادر قولي تسمى بنادر طهماسب قولي خان تيمنا ، وهو مؤسس أسرة أفغار عرف بالشجاعة الفائقة ، وترقي في رتب الجيش وعلا مقامه بانتصاراته على الأفغانيين والترك . في عهد الأُسرة الصفوية جعل نفسه شاه فارس عند وفاة عباس ، آخر عاهل في هذه الأُسرة ، وتوفى سنة ١٧٤٧م ، وكانت ولادته سنة ١٦٨٨م ، انظر : تاريخ الشعوب الإسلامية . كارل بروكلمان ، ص : ٥٢٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٦٨م.

مملكتي قوم يُكفر بعضهم بعضاَ ، فالآن أنت وكيل من قِبَلِي ، ترفع جميع المكفرات وتشهد على الفرقة الثالثة بما يلتزمونه (١)

ويذكر السويدي أنه حينما كُلف بهذه المهمة كان وقع التكليف عليه شديداً حتى إنه يقول : (وقف شعري وارتعدت فرائصي) ، وسبب ذلك انه يري أن الروافض أهل عناد ومكابرة ، ولا سيما أنه في عزٍ من أمرهم ، وأن السبيل للتفاهم معهم عسير ؛ لعدم الالتقاء معهم في مصادر التلقي ، (كيف تحصل المباحثة معهم وهم ينكرون كل حديث عندنا ، فلا يقولون بصحة الكتب الستة ولا غيرهم ، وكل آية نحتج بها يؤولونها ويقولون : الدليل إذا تطرقه الاحتمال يبطُل به الاستدلال ، كما أنهم يقولون : والدليل أن يتفق عليه الخصمان) (٢)

الحوار الفكري والفهم الجيد للمحاور في إقامة الحجة على الآخر المكابر :

يذكر السويدي أنه كان في مسيره يفكر كثيراً ويصور المسائل والدلائل من الطرفين ، ويتخير أجوبتها ، حتى قال : " إني صورت أكثر من مائة دليل وعلى كل دليل جعلت جواباً أو جوابين أو ثلاثاً على حسب الشُبه ومظنتها " (٣) ، وكان يرتب الخُطط ويضع التدابير وقبل انعقاد هذا الاجتماع وبعده كان للسويدي جلسة مباحثة مع كبير مجتهدى الشيعة آنذاك " الملا باشي " ، استطاع السويدي أن يقيم عليه الحُجة .، وذلك بإثارته لثلاث مسائل لا تملك الشيعة لها ثلاث أجوبة مقنعة .

(١) مؤتمر النجف مع الخطوط العريضة : ص : ٧٦، ٧٧ ، نقلاً عن : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة .القسم الثاني : ١٥٨.

(٢) مؤتمر النجف : ص : ٧٠ ، نقلاً عن : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة .القسم الثاني :ص ١٥٩.

(٣) المصدر نفسه : ص : ٧١ ، نقلاً عن : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة .القسم الثاني : ص ١٦٠.

المسألة الأولي: قول السويدي لكبير شيوخ الشيعة : " أريد أن أسألك عن مسألتين لا تستطيع أهل الشيعة الجواب عنهما .

فقال : وما هما ؟ ، قلت : الأولى : كيف حُكم الصحابة عند الشيعة ؟

فقال : ارتدوا إلا خمسة : علياً ، المقداد ، وأبا ذر ، وسلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، حيث لم يبايعوا علياً على الخلافة . قلت : إن كان الأمرُ كذلك ، فكيف زوج علي بنته أُم كلثوم من عمر بن الخطاب ؟

فقال: إنه مُكره (١) ، قلت : والله إنكم اعتقدتم في على منقصةٌ لا يرضى بها أدنى العرب ، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأكرمهم أرومة وأعلاها نسباً وأعظمها مروءة وحمية ، وإن أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه ، ويُقْتَلُ دون حرمه ، ولا تعز نفسه على حُرَمِهِ وأهله ، فكيف تثبتون لعليٍ ـ وهو الشجاع الصنديد ، ليث بني غالب ، أسد الله في المشارق والمغارب مثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها أجلاف العرب ؟ بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقُتِلْ ! (٢)"

(١) وهذا ما جاء في كتبهم الحديثة المُعتبرة وعقدوا له باباً بعنوان : (باب مناكحة الناصب عند الضرورة والتقية) ، ومما جاء فيه عن أبى عبد الله عليه السلام في تزويج أُم كلثوم فقال : (إن ذلك فرج غصبناه) ، فروع الكافي ٢ / ١٠ ، لمحمد بن يعقوب الكليني ، طبعة إيران، وكيف يتفق هذا التفسير مع أحاديثهم الكثيرة في وصف شجاعة عليٍ رضي الله عنه وبطولته ، وأن الإسلام لم يقم إلا بسيفه !

(٢) والأئمة في اعتقاد الشيعة لا يموتون إلا باختيار منهم ، فهم آمنون وقد عقد الكُليني في أصول الكافي باباً في هذا هو (باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم) ، وأورد فيه ثمانية أحاديث من أحاديثهم ، انظر : أصول الكافي . لمحمد بن يعقوب الكليني ١ / ٢٥٨ ، تحقيق :على أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٧٥هـ .

قال : يحتمل أن تكون زُفت لعمر جنية تصورت بصورة أُم كُلثوم ؟ (١)

قلت : هذا أشنع من الأول ، فكيف مثل هذا ؟! ولو فتحنا هذا الباب لانسدت جميع أبوب الشريعة حتى لو أن الرجل جاء إلى زوجته لاحتمل أن تقول : أنت جني تصورت بصورة زوجي فتمنعه من الإتيان لها ، فإن أتي بشاهدين عدلين على أنه فلان ، لاحتمل أن يقال فيهما إنهما جنيان تصورا بصورة هذين العدلين ، وهلم جراً ...

ويحتمل أن يقتل الإنسان أحداً أو يدعي عليه بحق ، فله أن يقول : ليس المُطالب أنا في هذه الحادثة ، بل يحتمل أن يكون جنيا تصور بصورتي ، ويحتمل أن يكون جعفر الصادق الذي تزعمون أن عبادتكم موافقة لمذهبه جنيا تصور بصورته ، وألقى إليكم هذه الأحكام الثابتة .

المسألة الثانية : ثم قلت له : ما حكم أفعال الخليفة الجائر ؟هل هي نافذة عند الشيعة ؟

فقال : لا تصح ولا تنفذ ، فقلت : أنشدك الله من أي عشيرة أم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ؟

فقال : من بني حنيفة ، فقلت : من سبي بني حنيفة ؟ ، قال : لا أدري (وهو كاذب)

قال بعض الحاضرين من علمائهم :سباهم أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ

(١) انظر : الأنوار النعمانية : . نعمة الله الموسوي الجزائري : ١ / ٨٣، ٨٤ ، طبعة إيران .

فقلت : كيف ساغ لعلي أن يأخذ جارية من السبي ويتولدها ، والإمام ـ على زعمكم ـ لا تنفذ أحكامه لجوره ، والاحتياط في الفروج أمر مقرر!

فقال : لعله استوهبها من أهلها ، يعني زوجوه بها ، قلت : يحتاج هذا إلى دليل . فانقطع ... والحمد لله ([1]) .

المسألة الثالثة : وقد وجرى البحث فيها بعد نهاية المؤتمر ، يقول السويدي : واجتمعت مع الملا باشي عصر يوم الجمعة ، وتذاكرنا في خصوص مذهب الجعفرية (مذهب جعفر الصادق)، فقلت : إن المذهب الذي تتعبدون عليه باطل ، لا يرجع إلى اجتهاد مجتهد

فقال : هذا هو اجتهاد جعفر الصادق ،فقلت : ليس لجعفر الصادق فيه شيء ، وأنتم لا تعرفون مذهب جعفر الصادق .،فإن قلتم : إن في مذهب جعفر الصادق تقية ، فلا أنتم ولا غيركم يعرف مذهبه لاحتمال كل مسألة أن تكون تقية ، فإن بلغني عنكم أنه له في البئر إذا وقعت فيه نجاسة ثلاثة أقوال : أحدهما : أنه إذا سُئل عنها فقال : هي بحر لا ينجسه شيء . وثانيها : أنها تنزح كلها . وثالثها : ينزح منها سبعة دلاء أو ستة .

فقلت لبعض علمائكم : كيف تصنعون بهذه الأقوال الثلاثة ؟

فقال : مذهبنا أن الإنسان إذا صارت له أهلية الاجتهاد يجتهد في أقوال جعفر الصادق فيصحح واحداً منها .

(١) مؤتمر النجف : ص ٨٦ : ٨٨ ، نقلاً عن : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة .القسم الثاني : ١٦٢ .

فقلت : وما يقول في الباقي ؟ ، قال : يقول إنها تقية .

فقلت : إذا اجتهد واحد فصحح غير هذا القول فما يقول في القول الذي صححه المجتهد الأول ؟

فقال : يقول إنها تقية ، فقلت :إذاً ضاع مذهب جعفر الصادق . إذ كل مسألة تنسب له يحتمل أن تكون تقية لا علامة تميز بين ما هو للتقية وبين غيره فانقطع ذلك العالم .. فما جوابك أنت ؟ فانقطع هو أيضاً (١)

ثم قلت له : فإن قلتم (ليس في مذهب جعفر الصادق تقية) فهو ليس المذهب الذي أنتم عليه لأنكم كلكم تقولون بالتقية (٢)

فانقطع الملا باشي : ثم ذكرت له دلائل غير هذا تدل على أن الذي في أيديهم ليس بمذهب جعفر الصادق .

نتيجة لهذا الحوار الفكري العقائدي الفقهي من شخصية المُحاور "عبد الله السويدي " وسعة اطلاعه وإلمامه بفكر من يحاوره وطرقه ومداخله استطاع أن يخضعه بالفكر والعقل ، لا بالتشنج والعاطفة التي يجديان ، ونتيجة لذلك قرر علماء الشيعة ومجتهدوهم جميعاً وعلى رأسهم كبير مجتهديهم الملا باشي أنهم ينزلون على مذهب أهل السنة في الصحابة فقالوا على لسان الملا باشي ـ كما يذكر السويدي ـ الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأفضل الخلق بعد

(١) هذا التعبير لا يتفق وطبيعة اعتقاد الشيعة في كلام جعفر ، ذلك أن جعفر وسائر الأئمة عندهم هم مشرعون لا مجتهدون ، وقولهم كفول الرسول ﷺ في اعتقادهم .

(٢) انظر : أصول الكافي . محمد بن يعقوب الكليني . تعليق : على الغفاري (٢١٧/٢) .

النبي ﷺأبو بكر بن قحافة ، فعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، فعلى بن أبي طالب ـــ رضي الله عنهم ـــ وأن خلافتهم على الترتيب الذي ذكرناه في تفضيلهم .

وكان مما كُتب من مقررات المؤتمر ، وكان هؤلاء الأربعة ـ الخلفاء الراشدون ـ في مكان واحد وفي عصر واحد ولم يقع بينهم تشاجر ولا تخاصم ولا نزاع ، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويُثني عليه ، فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب ، فمن سبهم أو انتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاة ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ولهذا جاء التعهد من الإيرانيين : " إنا قد التزمنا رفع السب وأن الصحابة فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب الذي هو في الرقعة ، فمن سب منا أو قال خلاف ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين..ـ ويلي ذلك تعهد من الأفغانيين السُنة ومضمونه ـ : " إن الإيرانيين إذا التزموا ما قرروه ولم يصدر منهم خلاف ذلك فهم من الفرق الإسلامية ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، ثم صادق الجميع على ما جاء في الرقعة كل وضع خاتمه تحت الكلام الذي يخصه " (١)

(١) مؤتمر النجف . عبد الله السويدي : ص ٩١ :٩٤ ، نقلاً عن : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة . القسم الثاني . ص :١٦٧.

يقول السويدي عن هذه النتيجة للمؤتمر : " وكان الوقت وقتاً مشهوداً من عجائب الدنيا وصار لأهل السُنة فرح وسرور لم يقع مثله في العصور ، ولا تشبهه الأعراس والأعياد والحمد لله على ذلك " (١)

إن الشيخ المجتهد والمحاور الجيد عبد الله السويدي لم ينظر إلى الأمر بنظرة عاطفية تتغاضي عن ثوابت الاعتقاد والفكر ، : " فأحمد الله على يديه نيران ضلالتهم وألبسهم ثوب الخزي بين عامتهم ، فلما علموا أنه بحر علم لا يمكن الوصول إلى أصله صاروا له أطوع من شراك نعله ، فسعى بالصلح بين الدولتين فحاز الفخار والنجع .. ورفع يومئذ سب الصحابة الكرام ، وحصل له من الشاة المشار إليه غاية التعظيم والاحترام ، فصار الشاة سُنياً بعد أن كان شيعياً ، فأحيا السنة السَنية بعد ما كاد يعتريها أفول ، وحقن دماء الشبان والشيوخ والكهول " (٢)

وأخيراً : تجربة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة والحوار الفكري بين السنة والشيعة :

في هذا العصر قامت محاولات كثيرة للتقريب بين أهل السنة والشيعة ، من أهمها محاولة جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة وغيرها ، وهذه المحاولات مبنية على : " أنه لا خلاف بين أهل السنة والشيعة في شيء من أصول الإيمان أو أركان الإسلام أو ما علم من الدين بالضرورة " (٣) ، وإنما هو خلاف

(١) مؤتمر النجف . عبد الله السويدي : ص : ٢٩ ، ٩٤ ، نقلاً عن : المصدر السابق: ص ١٦٨.
(٢) المسك الإذفر (ضمن تاريخ بغداد) . محمود شكري الألوسي : ص : ٦٢، ٦٣ ، مطبعة الآداب ، بغداد ، ١٣٤٨هـ .
(٣) مجلة رسالة الإسلام " مقال دعوة التقريب " ص ٧ السنة الأولي ، العدد الأول سنة ١٣٦٨هـ .

في بعض المسائل الفلسفية والآراء الكلامية التي لا صلة لها بأصول العقيدة ، ومنهم من يري أنه لا خلاف بينهم أصلاً إلا في بعض مسائل الفروع (١) .

والصراع والخلاف إنما صنعته الأوهام نتيجة العزلة الطويلة بين الطائفتين ، وأخذ العدو يؤيد هذا الخلاف ويؤججه ، والواقع أنه لا اختلاف بين الطائفتين عند الدراسة والتحقيق : " فمن المؤكد أن يتقارب المسلمون ، فيعلموا أن هناك فرقاً بين العقيدة التي يجب الإيمان بها ، وبين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الآراء دون أن تمس العقيدة ، ويومئذ يهون الأمر فنجتمع على ما نجمع عليه ، وإذا اختلفنا لم يكن خلافنا إلا كما يختلف أهل المذاهب الفقهية دون خصام ولا اتهام ودون توجس واسترابة وسوء ، ظن مما يجعلنا متقاطعين في معاملاتنا ومصاهراتنا وثقافاتنا "(٢)

لهذا تعد تجربة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، التي أعلنت عن نفسها في النصف الثاني من الأربعينيات، واستمرت فاعلة وحاضرة حتى مطلع سبعينيات القرن العشرين.

وتعد هذه التجربة من جهات عديدة، أهم تجربة ظهرت خلال القرن العشرين في مجال تحسين العلاقات بين المذاهب الإسلامية وإصلاحها وتطويرها، ومثلت في وقتها حدثاً تاريخياً لا يمكن تجاوزه على الإطلاق، أو المرور عليه وعدم الاكتراث به .

(١) مجلة رسالة الإسلام " مقال دعوة التقريب " لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٢٢ : ٢٣ ، السنة الأولي ، العدد الأول سنة ١٣٦٨هـ .

(٢) مجلة رسالة الإسلام : مجلة دار التقريب : ص ٩٣ السنة الأولي ، العدد الأول سنة ١٣٦٨هـ .

أولاً : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة والحوار الفكري بين السنة والشيعة:

لم تكن هذه التجربة مجرد حدث شكلي مفرغ من المحتوى والمضمون، ولم تكن مجرد حدث ظهر إلى الوجود وسرعان ما طمس ولفه النسيان، كما لم تكن مجرد حدث عادي ظل وبقي بلا أثر أو تأثير، بل كانت تجربة في غاية الأهمية، كشفت عن عطاء فكري وعلمي وديني وأخلاقي هو من ألمع وأثمن عطاءات الفكر الإسلامي المعاصر في مجال الوحدة والتفاهم والتآلف بين المسلمين، والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

العطاء الذي تجلى متخلقاً في مجلة (رسالة الإسلام)، لسان حال دار التقريب، التي صدرت سنة ١٩٤٩م، واستمرت في الصدور أكثر من عقدين، وتوقفت كلياً سنة ١٩٧٢م .

ارتبطت تجربة دار التقريب بمجموعة من الأشخاص هم من صفوة علماء الأمة في عصرهم، أربعة منهم تعاقبوا على مشيخة الأزهر وهم على التوالي: الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت.

وإلى جانب هؤلاء كان أيضاً، الشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ حسن البنا، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ علي الخفيف، والشيخ محمد محمد المدني، والأستاذ محمد علي علوبة باشا، والشيخ أمين

الحسيني من فلسطين، والشيخ محمد تقي القمي من إيران، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من العراق، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ حبيب آل إبراهيم، والشيخ محمد جواد مغنية من لبنان، إلى جانب آخرين أيضاً. وكانت _ بين هؤلاء الأشخاص _ درجة عالية من التفاهم والتآلف والتواد قل نظيره، وتجلى ذلك في عديد من المواقف والصور، ومن هذه الصور ما أشار إليه الشيخ محمود شلتوت وهو يتحدث عن الاجتماعات التي جرت في دار التقريب، ويصفها بقوله: كان (يجلس المصري إلى الإيراني، أو اللبناني، أو العراقي، أو الباكستاني، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي الزيدي، حول مائدة واحدة تدوي أصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوف، وفيها فقه، وفيها مع ذلك كله روح الأخوة، وذوق المودة والمحبة، وزمالة التعليم والعرفان) (١).

وحين يتذكر الشيخ محمد تقي القمي أول اجتماع بدار التقريب، بعد ثلاثة عشر عاماً على نشأتها، يرى فيه أنه : "أول اجتماع من نوعه في الإسلام، جلس فيه علماء من السنة والشيعة حول مائدة واحدة، في هدوء العلماء المتضلعين ، وفي وجوههم تصميم المجاهدين، وقلبوا وجوه الرأي لعلاج داء التفرق على هدي رسالة الإسلام، والمبادئ الإسلامية، فكتبوا بعملهم هذا فصلاً من فصول التاريخ الإسلامي المجيد" (٢)

(١)كشاف مجلة رسالة الإسلام. حسان عبد الله حسان ، ص١٥: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

(٢)انظر:الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة " : ص ٩ : ١٢ ، مصدر سابق .

وما نخلص إليه في هذا الجانب ، أن مفهوم التقريب هو مفهوم يستند على تراكمات تجربة ثرية وغنية ، تلاقحت فيها وتبلورت عديد من الأفكار والمفاهيم، وعديد من المناهج والنظريات، وعديد من الخبرات والممارسات، بحيث يمكن القول إن مفهوم التقريب بات يعبر عن خبرة نظرية وتطبيقية ممتدة في المكان والزمان، وعبرت إلى العديد من البيئات والمجتمعات التي تواصلت مع دار التقريب.

ثانيا : الحوار الفكري أم المراوغة الفكرية في دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية :

لا شك أن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بمصر تكتسب أهمية كبري لكونها أقيمت في أكبر بلد عربي وإسلامي ومنارة الأزهر الشريف وحصن أهل السنة الحصين ، تلك الدار التي دعا إلى إنشائها شيخ رافضي من قُم " بإيران " ويدعي محمد تقي القمي في عام ١٣٦٤هـ تقريباً ، واستجابت لدعوته ثلة من علماء مصر واليمن ، وما لبث أن قام بإصدار مجلة باسم " رسالة الإسلام " (١) لخدمة أغراضها .

لقد كان محمد تقي القمي ثالث ثلاثة تعاقبوا في المجيء إلى مصر ورفعوا شعار التقارب والوحدة ، حيث سبق أن أرسلت رافضة إيران في أواخر سنة ١٣٥٣هـ وأوائل ١٣٥٤هـ ، أحد شيوخهم ويدعى / أبو عبد الله الزنجاني، وبعد فشله أرسلت رسولاً آخر يدعى / عبد الكريم الزنجاني ، ويذكر محب الدين الخطيب أنه

(١) رأس تحريرها الشيخ / محمد محمد المدني (عميد كلية الشريعة بالأزهر) وقد صدر العدد الأول منها في ربيع الأول عام ١٣٦٨هـ ، وتوقفت بصدور آخر عدد منها في ١٧ رمضان ١٣٩٢هـ ، ولم تكن منتظمة الصدور في آخر عهدها ، ومجموع ما صدر من أعدادها (٦٠) عدداً ، جُمعت في (١٦) مجلداً

والشيخ محمد الخضر حسين فاوضا " الزنجاني الأول " في موضوع التعاون بين السنة والشيعة وضرورة تصحيح نظرة الشيعة إلى الصحابة حتي يتحقق التآلف فبشرهما بأن في إيران طبقة مستنيرة صارت تعرف للصحابة أقدارهم وتخجل من الأكاذيب التي كُتبت عنهم .. زكنا ننتظر ذلك وللأسف لم يفعل شيئاً من ذلك ، إما لأن الفئة التي تحدث عنها ضعيفة أمام تعصب الجماهير الإيرانيين ، وإما أن الذي يذكره لنا كان مدفوعاً بأحكام التقية التي أصبحت عادة فيهم ـ وفهمنا بعد سفره أن الحكومة الإيرانية هي التي كانت أوفدته إلى الأقطار العربية لغير تلك المعاني التي كنا نتمني تفاهم الفريقين عليها وتعاونهما على تحقيقها ، فيما اختارت زنجانياً آخر ، وهو الشيخ / عبد الكريم الزنجاني وكان هذا الداعية صريحاً في أنه يرى التقريب بين أهل السُنة والشيعة بنزول أهل السُنة على عقائد الشيعة ،فكان فشله سريعاً وذريعاً ، ورجع إلى إيران كما رجع حنين بخفيه " (١)

وبعد وفاة محمد تقي القمي وتوقف نشاط دار التقريب ، قامت الرافضة بإرسال رسول آخر يدعى " طالب الرفاعي الحسيني " ويلقب نفسه ب" إمام الشيعة في جمهورية مصر العربية " ، ولم يرفع هذا الرفاعي شعار التقريب الذي أثار ثائرة بعض علماء السُنة ، بل حاول الدخول إلى قلوب المصريين بمدخل يُتقن الروافض اللعب فيه ، وهو مدخل " آل البيت " ، فأنشأ داراً أسماها " دار أهل البيت" تقوم هذه الدار بنشر كتب الروافض بأساليب مختلفة بين أهالي مصر ، كما قامت بعمل فصول تقوية في بعض مراحل التعليم الإعدادي والثانوي ، تستخدمها كوسيلة لتحقيق غرضها في تربية النشء على عقيدة الرفض ، كما استعملت وسائل أُخرى للدخول إلى قلوب الناس والتأثير فيهم ، فأنشأت مستوصفاً ، وقامت بإعطاء

(١) الوحدة الإسلامية . أو التقريب بين المسلمين : ص ٥٩ . الشيخ / عبد الكريم الزنجاني .

مساعدات مادية وعينية ، واحتفلت بمناسبات الروافض الدينية ، وأقامت ندوات تتحدث عن آل البيت ومحبتهم ، كما أصدرت نشرات دورية وغير دورية في هذه النشرات غلواً في آل البيت ، ففيها أن آل البيت هم السبيل للنجاة ، وهم أفضل الخلق بما فيهم النبيين ، وهذه الجمعية قد أخذت تصريحاً من وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية لمزاولة عملها في شهر أغسطس سنة ١٩٧٣م (١)

لقد اعترف أحد شيوخ الروافض بأن إنشاء دار التقريب كان عن سابق اتفاق من شيوخ الشيعة وقال : " ليس له ـ أي : محمد تقي القمي ـ ولا لغيره من الناس أن يقوم بمثل هذا العمل من وراء المراجع ومن غير موافقتهم " (٢)

إذاً هي خطة مبيتة ، والغريب ـ فيما يبدو ـ أن هذا الأمر غير واضح عند بعض أعضاء الجماعة حتى خفي عليهم الجهة التي تمول " دار التقريب " حتى قال أحد كبار أعضائها بعد مضي أربع سنوات على إنشاء الدار قال : " ورابني ويجب أن يرتاب معي كل عضو برىء أنها تنفق عن سخاء دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات تنفق على دار أنيقة بالزمالك في القاهرة فيها أثاث فاخر وفيها أدوات قيمة ، وتنفق على مجلتها فتكافئ القائمين عليها ، وتكافئ الكاتبين فيها وتتأنق في طبع أعدادها وتغليف ما يُطبع ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مورد فياض ، فمن أين ذلك ؟؟!! وعلى حساب من يا ترى ؟؟!!" (٣)

(١) جمعية آل البيت ، النشرة غير الدورية رقم (١) محرم ١٣٩٥هـ ، ورقم (٢) رجب ١٣٩٥هـ ، ورقم (٣) محرم ١٣٩٦هـ ، نقلاً عن : مسألة التقريب بين السنة والشيعة. د/ ناصر بن عبد الله القفازي . مصدر سابق . القسم الثاني : هامش ص: ١٧٧، ١٧٨ .

(٢) الخميني أقواله وأفعاله . أحمد مغنية : ص: ٢٧

(٣) مجلة الأزهر الشيخ محمد السبكي . المجلد ٢٤ / ٢٨٦ .

ثالثا: الأساس الذي قامت عليه دعوة الحوار والتقريب بين السنة والشيعة (الغرض من الحوار والتقريب)

تم الإعلان عن الحوار والتقريب بين المذاهب في حين اقتصر نشاطها في التقريب بين دين الشيعة الإمامية وبين مذهب أهل السُنة .

أما عن لون التقريب ومعناه : فقد رفعت شعاراً ومفهوماً للتقريب ونفذت شيئاً آخر ، رفعت شعار التقريب بين أصحاب المذاهب مع احتفاظ كل بمذهبه ، يقول الرافضي محمد تقي القمي مؤسس الدار : " إن دعوتنا أن يتحد أهل الإسلام على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بها ، وأن ينظروا فيما وراء ذلك نظرة من لا يبتغي الفلج والغلب ، ولكن يبتغي الحق والمعرفة الصحيحة ، فإذا استطاعوا أن يصلوا بالإنصاف والحجة البينة إلى الاتفاق في شيء مما اختلفوا فيه فذاك ، وإلا فليحتفظ كل منهم بما يراه وليعذر الآخرين ، ويحسن الظن بهم ، فإن الخلاف على غير أصول الدين لا يضر بالإيمان ، ولا يخرج المختلفين عن دائرة الإسلام "(١) .

وتقول مقدمة كتاب دعوة التقريب : " ليس من غايتنا أن يترك السني مذهبه ، أو الشيعي مذهبه ، وإنما نريد أن يتحد الجميع حول الأصول المتفق عليها ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما وراء ذلك ، مما ليس شرطاً من شروط الإيمان ولا ركناً من أركان الإسلام ، ولا إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة " (٢)

(١) الوحدة الإسلامية . التقريب بين المذاهب : ص: ٦٥:٦٤ .

(٢) دعوة التقريب : ص : ٧ (المقدمة للشيخ / محمد محمد المدني) ، وانظر : الوحدة الإسلامية " ص: ٧ محمد عبد الله المحامى ، وانظر : معالم التقريب ، رقم (١) ص ٣ .

هذا هو الشعار الذي رفعته دعوة التقريب ولكنها نفذت شيئاً آخر ، والدليل على ذلك قيام مجلة التقريب بنشر بحثاً طويلاً بعنوان " منهاج عملي للتقريب " لأحد كبار روافض إيران يطالب فيه أهل السنة بأن يرجعوا في دينهم إلى مصادر الشيعة الثمانية ، وبأن ينصب كرسي لتدريس فقه الروافض في مصر وآخر لتدريس عقائدهم وأن يعترفوا ويؤمنوا بمسألة الإمامة عندهم ، ولم يقتصر الأمر على مجرد الدعوة ، بل قام الروافض بتزيين آرائهم للشيخ محمود شلتوت (شيخ الجامع الأزهر) في ذلك الوقت ، فقام بتلبية رغبتهم ، ونفذ بعض مطالبهم فتولى بنفسه محاولة تنفيذ هذه المهمة فوضع مشروعاً مقسوماً في الفقه وأصوله وتاريخه ، وفي مصطلح الحديث ورجاله ، وفي دراسة الكتب الأُمهات وأصحابها الثقات في الأزهر (١) ، ولكن معارضة بعض شيوخ الأزهر حال دون تنفيذ المشروع .

واستطاع الروافض _ في ظل دعوة التقريب _ أن يخدعوا الشيخ شلتوتاً شيخ الأزهر بالقول بأن مذهب الشيعة لا يفترق عن مذهب أهل السنة ، ويطلبوا إليه أن يصدر فتوى في شأن جواز التعبد بالمذهب الجعفري (٢) ، فطار الروافض بهذا فرحاً ، وعدوا الفتوى قطفاً شهيا وثمرة كبرى لدعوة التقريب ، لأنها تعطيهم كما يتصورون الشرعية في التبشير بالرفض في ديار السُنة

ومما يؤكد الأهداف الخبيثة للروافض من وراء دعوتهم للتقريب بينهم وبين السنة على يد الأزهر الشريف منارة العلم والعلماء على مدار التاريخ ـ ويظل كذلك بإذن الله إلى ما شاء الله ـ أن الرافضي محمد تقي القمي . كشف عن هدفه وغرضه عن مهمة الدار الخفية ، فيدعو المسلمين السنة صراحة دون تورية أو تقية

(١) انظر : رسالة الإسلام : ص: ١١، السنة الحادية عشر .

(٢)انظر:الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة " : ص ٢٠ . من المقدمة للشيخ شلتوت .

إلى الأخذ بعقيدة الشيعة وآرائها ، فيقول بعد أن يزعم أن أهل السنة في مصر أخذوا ببعض آراء الشيعة الفقهية : " فماذا عليهم لو استقبلوا ما وراء الفقه كما استقبلوا الفقه ، وما الفرق بين الفروع العملية والفروع العلمية ؟ ! " (١)

وقد حملت إلينا مجلة الأزهر شهادة ووثيقة لأحد كبار أعضاء جماعة التقريب ، وأحد المشاركين في نشأة الجماعة وهو الشيخ / عبد اللطيف السُبكي : " يقول :" نشط _ في تكوين هذه الجماعة _ شيخ شيعي يقيم في مصر ، واستجاب لدعوته ثلة من رجالات مصر وغيرها ... جذبتني هذه الدعوة ، فشرفت بالعضوية المتواضعة بين أولئك الأمجاد ، فماذا أجْدتْ جماعتنا وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟

نشطت في صدر عهدها إلى تعاقب الاجتماعات ، فمرة : للتعارف واختيار الرئيس والوكيل والسكرتير .. إلخ ، ومرة ثانية لاستقبال ضيف شرقي مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب ، ومرة ثالثة : لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية ، ومن بينها رسالة من النجف ـ مركز الشيعة ـ يطلب مرسلوها كلمة تلقى هناك في الذكرى الموسمية للإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ثم يُقترح علينا في هذه الجلسة أن تطلب الجماعة إلى الأزهر تدريس الفقه الشيعي إلى جانب مذاهب أهل السُنة ، ويتوارى الاقتراح في سرعة ؛ لأنه طُرح قبل أوانه كما همس بذلك من همس ، وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود في مجلة تصدرها دار التقريب هذه وتسميها (رسالة الإسلام) "(٢)

(١)رسالة الإسلام ١٦٩/٢ السنة الثانية ، العدد الثاني جمادي الآخرة ١٣٦٩هـ .

(٢) مجلة الأزهر : مجلد ٢٤ ، ص : ٢٨٥: ٢٨٦.

وفي إطار الأهداف الخبيثة لدار التقريب بالقاهرة ، قامت بالدعاية للتشيع عن طريق نشر الكتاب الشيعي وترويجه بين أهل السُنة ، وراحت تستكتب بعض ذوي الأطماع المادية ، والنفوس الضعيفة لوضع مقدمات لكتب الشيعة التي أزمعوا نشرها بين أهل السنة ، فنشروا عدة كتب من كتب الروافض ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ المختصر النافع : لنجم الدين الحلي (ت ٦٧٦هـ) طبعة وزارة الأوقاف المصرية ، وقدم له الشيخ محمد حسن الباقوري ، ٢ ـ تذكرة الفقهاء : للحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلي (ت٧٢٧هـ)

٣ ـ تفسير مجمع البيان : للطبرسي (ت٥٤٨) . وغير هذه الكتب كثير .

كل هذه الأهداف والأغراض نُفذت باسم التقريب بين المسلمين فصار مفهوم التقريب في قانون الجماعة الشيعية الحقيقي هو نشر التشيع والرفض في ديار السُنة ، فهل هؤلاء يجوز معهم فتح حوار دون وضع ضوابط

رابعا: تراجع بعض علماء ومفكري الأزهر الشريف عن مواصلة الحوار والتقريب ؟! :

خابت آمال المخلصين المشتركين بهذه الجماعة من أهل السُنة بعد ما كانت موضع أمل لهم فمنهم من ترك الجماعة بصمت ومنهم من أعلن عن ذلك ، فمن هؤلاء الدكتور / محمد البهي يستبشر بنشأة الجماعة ويشيد بها ويضع يده في يدها ، ولكنه بعد ذلك يخيب أمله ويسجل رأيه في ذلك بقوله : " وفي القاهرة قامت حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية لتقريب ما بين السنة والشيعة ، وبدلاً من أن

تركز نشاطها على الدعوة إلى ما دعا إليه القرآن إذا وصل الخلاف في الراي إلى نزاع كما جاء في قوله تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(١) ركزت نشاطها على إحياء ما للشيعة : من فقه . وأصول .. وتفسير .. ونشر المقالات التي تدعو دعوة عامة إلى عدم التفرق بين المسلمين " (٢).

وهذا الشيخ محمد عرفه عضو هيئة كبار العلماء ، والشيخ / طه محمد الساكت وغيرهما يتركون الجماعة بعدما استبانت لهم أغراضها ، ويتابع المخلصون في التخلي عن جماعة أرادت أن تنشر الرفض في ديار مسلمي أهل السنة والجماعة باسم الوحدة والتقريب والحوار ، حتى وصف الشيخ / محب الخطيب ما آل إليه أمر دار التقريب وجماعة التقريب بقوله : " انفض المسلمون جميعاً من حول دار التخريب التي كانت تسمي دار التقريب ومضى عليه زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعى من استأجرها . ثم يذكر أنه لم يبق متعلقاً بعضويتها إلا فئة من المنتفعين مادياً من وراء انتمائهم إلى هذه الدار ، وأن العلماء المخلصين من أهل السنة انكشف لهم المستور من حقيقة دين الرافضة ودعوة التقريب التي يريدها الروافض فانفضوا عن هذه الدار وعن الألاعيب التي كان يراد إشراكهم في تمثيلها... فلم يبق موضع عجب إلا استمرار النشر الخادع في تلك المجلة ، ولعل القائمين يضعون لها حداً " (٣)

(١) سورة النساء . الآية ٥٩ .

(٢) الفكر الإسلامي والمجتمعات المعاصرة . د / محمد البهي : ص: ٤٣٩، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ .

(٣)مجلة الفتح العدد ٨٤٨ العام السابع عشر ، شوال ١٣٦٦ هـ .

المبحث الرابع

تقييم الحوار الفكري والتقريب بين السنة والشيعة

وجدنا وجهتي نظر للحوار والتقريب بين السنة والشيعة ، وكلاهما يستند إلى أسس يدافع بها كل عن وجهته ، لكن الباحث يبتغي الوصول للحق وعدم تضليل العامة فضلا عن المثقفين والمطلعين الذين لهم دراية بالموضوع والقضية.

لقد فتح أصحاب نظرة التأييد للحوار والتقريب بين السنة والشيعة قلوبهم وعقولهم وعاطفتهم الدينية المتأججة نحو الوحدة بين المسلمين بالنظر لواقع الأُمة ، وأن التقريب الآن أصبح ضرورة واجبة ، لكنهم لم يعوا حركة التاريخ الفكري والعقدي للشيعة على اختلاف فرقهم ، ولكي يؤتي هذا التقريب ثماره لا بد أن يقوم على أسس واضحة ومبادئ نيرة ، ولا بد أن تتوفر النية الحسنة الصادقة بين هذه الطوائف التي تريد أن تقترب من بعضها ، وأن تكون ثمة سعة صدرٍ تقبل الاختلاف في الرأي ، لهذا يرى الشيخ الدكتور القرضاوي : " أن فكرة التقريب بين الفرق وأتباع المذاهب تحتاج للمصارحة لا للمجاملة ، مشدداً على ضرورة وضع حدٍ لعمليات التبشير الشيعي " المبرمجة" في بعض البلدان السنية ...مؤكداً أنه لن يحدث تقارب مادام يتم سب الصحابة وأمهات المؤمنين " ([1]) ، ومن ثم نخلص إلى ما يلي : _

([1]) موقف الأزهر من الشيعة الاثني عشرية . أ / طه على السواح : ص ٣٣٩ ، طبعة دار اليسر ، القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٣١هـ /٢٠١٠م.

أولاً : التقريب لا يكون إلا في الإطار السياسي:

تتعدد وجهات النظر فما انتهت إليه تجربة دار التقريب بالقاهرة ، فمن الباحثين من يرى أن التقريب لا يكون إلا في الاتجاه السياسي فقط ، فيقول : " الدعوة إلى التقريب تعبير مجمل : إن قصد بها التقريب في الإطار السياسي وفي إطار المصالح المشتركة للفريقين فهي دعوة مقبولة ، بل لا بد منها ، حقناً للدماء وتأميناً للسايلة ، وتمكيناً للناس من أن يتقلبوا في أسفارهم وفي أوطانهم آمنين ، بل هي أساس استتباب الأمن وعمارة البلدان ، وفي إطار قابل بطبيعيته للمدارة والتسامح ، بل والتنازل عن بعض الحقوق إن لزم الأمر ، ويجب أن يتداعى عقلاء الفريقين إلى ذلك ... أما إذا قصد بها التقريب في الإطار العقدي فيجب أن يكون المقصود منها بيان الحق وإقامة الحجة به والرد على شبهات مخالفة بما يقتضيه المقام من الرفق واللين ، وبما أرشدت إليه النصوص من الحكمة والموعظة الحسنة ـ ولا يجوز أن يكون مقصوده بإقرار باطل أو تسويغ منكر من القول أو العمل ، إذا اعتصم المحاورون أو الداعون إلى التقريب بهذا المبدأ فلا خطر منه ولا تثريب على دعاته ، ولا ينبغي أن يمل حملة الحق من الدعوة إلى حقهم والإلحاح في عرضه وتأليف القلوب على قبوله ... ويظهر أن الخلل يكمن في الخلط بين الإطارين السياسي والعقدي ، وإحلال آليات ومقاصد أحدهما في موضع الآخر " (١)

إلا أنى أتشكك في ذلك ؛ لأن الشيعي يمثل قنبلة موقوتة يوشك أن تنفجر في أي وقت ، فالشيعة لا يترددون في خدمة أي غازٍ يطرق بلاد المسلمين ، بل في بعض الأحيان هم الذين يراسلونهم ، والذي لا يصدق يسأل مؤيد الدين العلقمي وزير

(١) مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا . د/ صلاح الصاوي . نقلاً عن : موقف الأزهر من الشيعة الاثني عشرية : ص ٣٤٠ .

الخليفة العباسي المعتصم ، فقد بين المؤرخون مكاتبات " ابن العلقمي" للتتار لأخذ بغداد ، وقد حدث وقتل الخليفة ، وسقطت بغداد وقتل الآلاف من سنة بغداد ، وتولى الشيعة مقاليد الحكم في بغداد تحت رعاية وحماية التتار المارقين .

وحدث الماضي يتكرر اليوم ، والذي لا يصدق ينظر إلى العراق الآن ، فقد دخلها الأمريكيون بمساعدة الشيعة داخل وخارج العراق ، ولأن التاريخ يعيد نفسه فقد قتل الآلاف من السنة واستبيحت حرماتهم ، وتولى الشيعة مقاليد الحكم بالعراق بعد الغزو الأمريكي الغربي للعراق بداية بحكومة (أحمد جلبي ، ومروراً بنور المالكي ، وحيدر العبادى) وما تفعله ميلشيات الحشد الشعبي من تطهير عرقي وتهجير للسنة في الرمادي ، وديالى ، وكركوك ،والفلوجة ، وبعقوبة ... الخ . من المدن العراقية ذات الأغلبية السنية ، وما تقوم به ميلشيات جيش المهدي وفيلق بدر من مثل الذي ذُكر آنفاً ، فهل بعد هذا يأمن السنة للشيعة سياسياً أيضاً ؟

ولا يغرنك ما يقوم به مقتدى الصدر وجنوده للأمريكيين ، فإن هذا هراء ، وتمثيلية يشترك فيها الأمريكيون والصدريون ، وإلا فمادام الصدر قد أتعبهم لهذه الدرجة فلماذا لم يقتلوه ؟ أو يلقوا القبض عليه حياً إن أرادوا ، وهو يمر بين حواجزهم الأمنية التى وضعوها على مفترق الطرق ، إن القول بأننا والشيعة الإمامية والإمامية الاثني عشرية في خندق واحد ، قولٌ لا حقيقة له ، ومن يقول _ كالدكتور الشكعة وغيره _ بأنه لا يوجد خلاف بين كلٍ من مذاهب السنة ومذاهب الشيعة ، فإنما هي كذبة صدق كذبها ، فلا الماضي يؤيدها ولا الحاضر يصدقها .

ثانياً : التقريب بين السنة والشيعة سراب لا أمل فيه :

يقول الدكتور مصطفي السباعى : " بينما هم يقيمون لهذه الدعوات الدور ، وينشئون المجلات في القاهرة ، ويستكتبون فريقاً من علماء الأزهر لهذه الغاية ، لم نر أثراً لهم في الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة في العراق وإيران وغيرهما ، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف ، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة ، لا تقريب المذهبين كل منهما للآخر " (١) ، إن التقريب سراب لا أمل فيه إلا إذا تخلى الشيعة على اختلاف مشاربهم عن سب نبينا ﷺ وزجته الطاهرة المطهرة (أم المؤمنين عائشة بنت الصديق) رضي الله عنها ، عن كل عيب ونقص ، التي صوروها بأنها خائنة ، قوادة ، تجمع الدنانير _ حاشاها _ ، وزوجها رسول الله ﷺ يرضي الخنا على أهله _ حاشاه وحاشاهم أجمعين.بأبي أنت وأمي يا رسول الله _ ،كما يزعمون رأي علياً يجلس بينه وبين زوجته الطاهرة ولا يبالي ، بل يسمح لعليٍ أن ينام معهم في فراش واحد ، ويقوم هو للصلاة ويتركهما نائمين في الفراش ، وحينما تعترض عائشة على هذا ينتهرها رسولهم (٢)

وما يقوله نعمة الله الجزائري أحد أكبر علمائهم يلخص هذا السراب الذي يفصل بيننا وبينهم : " ووجه آخر لهذا لا أعلم إلا أني رأيته في بعض الأخبار ، وحاصله أنا لا نجتمع معهم على إله ، ولا نبي ولا على إمام ، وذلك أنهم _ أهل السنة _ إن ربهم الذي كان محمد ﷺ نبيه ، وخليفته بعده أبو بكر ، ونحن لا نقول

(١) السنة ومكانتها في التشريع . دكتور مصطفي السباعي : ص ٢٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ

(٢) انظر : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار .لمحمد باقر المجلسي : ٢/٤٠ ، طبعة دار إحياء التراث .

بهذا الرب ، ولا بذلك النبي ، بل نقول : إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا" (١)

والسؤال الأول : هل عند علماء السنة _ بعد أربعة عشر قرنا من الزمان _ استعداد لغض الطرف عن سب الصحابة وتكفيرهم جهاراً نهاراً ، ورمي أم المؤمنين عائشة بأقبح الألفاظ ، أم هل الاثنا عشرية على استعداد لترك هذا الأمر ، وإعلان خطأ أئمتهم الذين أفتوا بتكفير الصحابة ، والحكم على الروايات التى تقول ذلك بالزيف والكذب ؟!

أما السؤال الثاني : هل عند علماء السنة بعد أربعة عشر قرنا من الزمان استعداد لكي يواجهوا فقهاء الشيعة وعلمائهم ومحدثيهم بأنهم تبرءوا من معتقدهم بالإله نفسه الذي نعبده والذي خليفة نبيه أبو بكر ؟ !

أما السؤال الأخير : هل عند علماء السنة بعد أربعة عشر قرنا من الزمان استعداد لكي يقولوا للشيعة الإمامية أنتم على خطأ وضلال في دعواكم بأن علياً أولى بالخلافة من الثلاثة الذين سبقوه ، أم هم على استعداد لأن يقولوا بجواز إمامة المفضول مع جواز الفاضل _ على زعمهم _ ؟! .

ثالثاً : التقريب أكذوبة وخداع :

ذهب أحد الباحثين إلى أن دعوى التقريب والحوار بين أهل السنة والشيعة أكذوبة وخداع " لأن الأصول بين الفريقين متباينة ، والهوة واسعة ، فالشيعة تعتقد أن القرآن الذي بين أيدينا ناقص ، وطريق إثبات السنة عندنا وعندهم متباينة ...

(١) الأنوار النعمانية . نعمة الله الجزائري ٢/ ٢٧٨ ، طبعة إيران .

وفي الحقيقة : إن ما ذهب إليه دعاة التقريب إنما هو خلاف الحق ، فالخلاف بين المذهبين ليس خلافاً في الفروع ، أو حول نص من النصوص ، ولكل اجتهاده ، وإنما الخلاف يكمن أساساً حول المصادر التي يستمد كل منهما عقيدته منها " (١)

ويؤكد هذا فضيلة الأستاذ الدكتور /عبد المنعم النمر في كتابه (الشيعة ، المهدي، الدروز) : أن تلك العقائد راسخة في قلوب علماء الشيعة وعامتهم حيث يقول :" فلا يتصور أحد منا أن يرجع هؤلاء عن أصول عقيدتهم بعد ما رسخت في أذهان الخاصة والعامة فوق ألف سنة ... بل إنهم يكفرون من لا يعتقد اعتقادهم ... وقد ذكرت في مكان آخر ما قاله الخميني عن مصحف فاطمة _ رضي الله عنها _ نقلاً عن كتابه الحجة " الكافي) للكليني ... بل إن الخميني ينفق عشرات الملايين الآن في الدعوة لمذهبه ، وقد أعاد طبع كتاب الكافي هذا طبعة جديدة في أمريكا وقد ترجمه ، ويرسل دعاته في أنحاء العالم لنشروا مذهبه بالكلمة والمال ، متخذين من حب آل البيت مدخلاً لدعوتهم ... وأن كل من خالفهم يكره آل البيت ، وكافر بالله ورسوله والأئمة " (٢)

والله أسأل أن يجنبنا الزلل وموارد الظالمين ، وصل اللهم وسلم على محمدٍ وآله .

(١) الفكر الشيعي . دكتور . مصطفي إبراهيم الدميري : ٣٩٤ ، نقلاً عن : موقف الأزهر من الشيعة الاثني عشرية : ص ٣٤١

(٢) الشيعة .المهدي .الدروز . تاريخ ووثائق، دكتور / عبد المنعم النمر : ص ٨٩ ، نقلاً عن : موقف الأزهر من الشيعة الاثني عشرية : ص٣٤٢

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

أولاً: من أهم نتائج البحث ضرورة الاتفاق على وضع آليات للحوار من ضوابط وشروط وأسس ومنطلقات دينية وفكرية حتى يتم نشد الحق ، ودفع الباطل في كل زمان ومكان ، وهذا من باب قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء﴾(١)

ثانياً : كشف البحث أنه لا سبيل لرأب الصدع ورد مفارقي الجماعة إليها مرة أخرى إلا بدعوتهم للحوار الجاد والبناء القائم على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجتهاد علماء الأمة العدول الضابطين .

ثالثاً: أثبت البحث اهتمام النبي ﷺ والصحابة بالحوار دائما عقب كل خلاف يسبب الافتراق ، وأن الجهل والهوى والتهور والاندفاع والفتيا بغير علم سبب كل فُرقة ، وأن أي افتراق حدث في عصور ما بعد وفاة النبي ﷺ .

(١) سورة آل عمران الآية : ٦٤

رابعاً : لا شك أن مؤتمر الحوار الذي أقيم بالنجف للتقريب بين السنة والشيعة شكل نصراً لأهل السنة وإعلاء لكلمة الحق ، خاصة إذا كان القول الفصل للحجة والبرهان لا للتعصب الأعمى أو السلطة الغاشمة .

خامساً : أن المنهج الذي سلكه الشيخ عبد الله السويدي لإقامة الحجة على الشيعة منهج فريد ينبغي أن يستفاد منه في الردود على الروافض ، وأن يكون نواة لدراسة أكمل وأشمل على المنهج نفسه ، كما كان لعقيدة التقية لدى الشيعة الروافض دور كبير في عدم الإفادة من النتيجة التي انتهى إليها المؤتمر ، واستثمار ذلك في جمع كلمة المسلمين .

سادساً إن استجابة طائفة من كبار علماء مصر ، أمثال : الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ شلتوت وغيرهم لدعوة التقريب استجابة طبيعية لقوله تعالي : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾(١) ، وما كانت دعوة التقريب قد أبانت عن حقيقتها وأهدافها ، بل كانت ترفع شعارات إسلامية تستر بها على ما تهدف إليه ، وعملت على نشر الكتاب الشيعي وحاولت تدريس مذهب الشيعة الفقهي بالأزهر الشريف ، وبالمقابل لم تفعل مثل ذلك في بلاد فارس (إيران) ، مما يدل على نية مبيتة وهدف مرسوم من وراء هذه الدعوة للتقريب ، مما يجعلنا على حذر عند ووضع آليات للحوار في الأصول التي نختلف فيها ، فإن قبلوا ، وإلا كفينا شرهم ومكرهم .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٣

سابعاً : إن أسباب الإرهاب تختلف باختلاف المجتمعات ؛ تبعا لاختلافها في اتجاهاتها السياسية ، وظروفها الاقتصادية ، والاجتماعية ، وأحوال شعوبها الدينية.

ثامناً :أن التفريط في أمر الله عز وجل، والوقوع فيما نهى عنه، والأعراض عن شريعته، من أعظم أسباب المصائب، من كوارث وإرهاب وغيرها.

تاسعاً : أن للإرهاب أسبابا مباشرة، وهي تعد كافية وحدها لوجوده ، وله أسباب غير مباشرة، وهي العوامل المؤثرة في النفوس بحيث تجعلها سهلة الانقياد لدعاة العنف الإرهاب.

فمنها ما يعود إلى الأفراد أنفسهم، بسبب تقصيرهم في تلقي العلم الشرعي من مصادره الرئيسة، واعتدادهم بآرائهم، واتباعهم لأهوائهم.

ومنها ما يعود إلى البيئة التي يعيشون فيها، وما تموج به من انحرافات وتناقضات، تثير كوامن النفوس، وتبعث على المعارضة والمدافعة.

ومنها ما يرجع إلى عوامل خارجية تتمثل في كيد الأعداء، وتسلطهم على المسلمين، وظلمهم لهم، مما يؤجج مشاعر المسلمين، ويبعث في نفوسهم الحمية لدينهم، ودمائهم، وأعراضهم، وحرياتهم، وثرواتهم .

عاشراً : اعتماد أسلوب الحوار في العلاج ، فجميع الأعمال التي تصدر عن الإنسان إنما تصدر عن معتقداته ؛ فالتصرفات الخاطئة ناتجة عن معتقدات خاطئة ، ولا يمكن تعديلها مهما مورس على الإنسان من ضغط جسدي أو نفسي ، نعم قد

يكف عنها نتيجة الخوف ، ولكن ذلك يكون لأجل محدد وتظل تلك المعتقدات تسيطر عليه حتى إذا ما وجد الفرصة المناسبة خرج ليحقق معتقداته ، فحالة الإفساد في الأرض باسم الدين (الإرهاب) لا أتصور أنه يمكن علاجها إلا من خلال الحوار الهادف البناء ؛ ولنا شاهد من التاريخ الإسلامي فهذا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في سعيه لعلاج مشكلة الخوارج قبل أن يقاتلهم أرسل إليهم عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – ليحاورهم فنجح في مهمته وخفض عددهم إلى النصف حيث تاب نصفهم وعادوا إلى طريق الصواب

حادي عشر : وحتى ينجح الحوار لا بد من اختيار شخصية المحاور بأن يكون ذا علم واسع غزير ملم بالشبهات وطريقة الرد عليها ، يملك أسلوباً جيداً في الحوار والإقناع، ملماً بوسائل التأثير الحديثة كعلم النفس ونحوه ، وأن يكون الحوار على أساس النِدِّية والتساوي فلا يكون أحد الطرفين في الأغلال والأصفاد والطرف الثاني في وضع مريح ، وألا يكون الحوار في صورة الفوقية والتعالي ، أو أن يتبنى نبرة الأستاذية أو التوبيخ واللوم ونحوها من سلبيات الحوار .

ثانياً : التوصيات

أولاً: يوصي الباحث إعطاء العلماء الوسطيين مكانتهم بإفساح المجال لهم في وسائل الإعلام المقروءة منها والمسموعة والمكتوبة ،وإبراز دورهم في تنقيح ما لحق بعقائد الإسلام وتشريعاته من باطل المبطلين وطعون الطاعنين من مريدى الفرقة بين المسلمين

ثانياً : محاولة رأب الصدع بين أبناء الأمة الإسلامية ، عن طريق وضع إستراتيجية بناءة لعمل مؤتمرات ، ولتكن ربع أو نصف سنوية يدعى إليها المفترقون لمناقشة أسباب افتراقهم واختلافهم ومحاولة وضع الحلول المناسبة لافتراقهم ، وأخذ التعهدات عليهم بعدم استباحة الدماء ، ووضع الضوابط اللازمة لحفظ وحدة الجماعة المسلمة

ثالثاً: يوصي الباحث بمزيد من الاهتمام بتعدد دوائر الحوار المنبثقة عن المؤسسات الدينية الرسمية ، كالأزهر الشريف ، والمجمع الفقهي بمكة المكرمة ، ومنظمة مؤتمر العالم الإسلامي .

أخيراً : يوصي الباحث بوضع آليات للحوار حول الأصول التي نختلف فيها ، ولا نتطرق إلى الفروع قبل ذلك ، كما حدث في دار التقريب التي أنشأها الشيعة في مصر ، واستقطبوا الأزهر ورجاله المسالمين ، والذي كان هدفهم وحدة المسلمين ، لكن عقيدة التقية التي هي سر مستسر في سر ودين آبائهم وأجدادهم كانت خيط المكر والمراوغة والمخاتلة الفكرية ، فإن قبلوا بذلك قبلوا ، وإلا كفينا شرهم

ومكرهم ، ولا تعقد الاجتماعات والحوارات إلا بناء على ذلك ، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (١)

(١) سورة الأنفال الآية : ٤٠

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتب والرسائل

١ _الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية . عبيد الله محمد بن بطة، تحقيق :رضا بن نعسان معطي ، دار الراية بالرياض ، ط١، ١٤٠٧هـ .

٢ _ أدب الدنيا والدين . لأبي الحسن الماوردي ، شرح وتعليق / محمد كريم راجح ، الطبعة الرابعة ، دار اقرأ ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣ _الإرهاب الدولي . دراسة قانونية ناقدة . د/ محمد عزيز شكري ، الطبعة الأولي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤١٢هـ

٤ _ إسلام بلا مذاهب . دكتور : مصطفي الشكعة ، نشر الدار المصرية اللبنانية ، ط١١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٥ _ أساس البلاغة . لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار بيروت ، بيروت

٦ _ الاستبصار فيما اختلف من الأخبار . لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، الطبعة الثانية . دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٢م.

٧ _ الإسلام والحضارة الغربية . د/ محمد محمد حسين ، طبعة دار الفرقان ، د . ت

٨ _ الاعتصام . لأبي اسحاق الشاطبي ، دار المعرفة . بيروت ، لبنان .

٩ _ إعلام الموقعين. لابن القيم الجوزية ، خرَّخ أحاديثه وآثاره أبو عبيدة مشهور آل سلمان ، الطبعة الأولي ، دار ابن الجوزي ، السعودية ١٤٢٣هـ .

١٠ _ أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، جمع وترتيب . د/ سيد بن حسين العفاني ، الطبعة الأولي . دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.

١١ _الافتراق مفهومه وأسبابه . سبل الوقاية منه . د/ ناصر عبد الكريم العقل ، دار القاسم .

١٢_الأنوار النعمانية : . نعمة الله الموسوي الجزائري ، طبعة إيران .

١٣_ أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم . د/ عمر سليمان الأشقر ، ط١ ، دار النفائس للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

١٤_ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار .لمحمد باقر المجلسي ، طبعة دار إحياء التراث ، بيروت

١٥ _ البحر المحيط . للزركشي ، نشر وزارة الأوقاف الكويتية .

١٦_ البداية والنهاية .لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق د/ رياض عبد الحميد مراد ، وآخرين ، الطبعة الثانية ، دار ابن كثير . دمشق ، بيروت ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

١٧_ براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة . محمد بن سعيد الكثيري ، طبعة دار المحدث

١٨_ تاريخ الشعوب الإسلامية . كارل بروكلمان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٦٨م.

١٩_ التربية بالحوار . د/ عبد الرحمن النحلاوي ، الطبعة الأولي دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٤ م .

٢٠_ تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٨٨هـ

٢١_ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن السعدي ، مؤسسة الرسالة . بيروت

٢٢_ جامع بيان العلم وفضله . لابن عبد البر . تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، طبعة دار ابن الجوزى.

٢٣ _الحوار الإسلامي المسيحي . د/بسام عجك ، الطبعة الأولي ، دار قتيبه ، دمشق ١٤١٨هـ .

٢٤_ دائرة المعارف الإسلامية . مجموعة من المستشرقين . نقلها إلى العربية . محمد ثابت وآخرون ، طبعة طهران

٢٥_ درء تعارض العقل والنقل. شيخ الإسلام .أحمد بن تيمية تحقيق: .د/ محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٢٦_ دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب . أ / خالد صالح الظاهري ، طبعة دار عالم الكتب . الرياض ١٤٢٣هـ .

٢٧_ الرسائل التسع .للحلي أبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي ، تحقيق : رضا الاستادي ، الطبعة الأولي ، الناشر : مكتبة آية الله العظمي المرعشى . بقم ، ١٤١٣هـ

٢٨_ الرسالة . محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق : أحمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية .

٢٩_ رفع الملام عن الأئمة الأعلام . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية ، نسخة وقف لله تعالى ، الرياض ١٤١٣هـ .

٣٠_ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . لأبى حاتم محمد بن حِبَّان البستي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مكتبة أنصار السنة

٣١_سنن ابن ماجة ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٣٢_سنن الدارمي . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٣ـ السرائر . محمد بن إدريس الحلي ، المطبعة العلمية ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ .

٣٤_ السنة ومكانتها في التشريع . دكتور مصطفي السباعي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ

٣٥_ سير أعلام النبلاء . شمس الدين الذهبي ، الطبعة الأولي دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

٣٦_ صحيح البخاري، الإمام البخاري ، تحقيق : عبد الرءوف سعد ، طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٧_ صحيح مسلم . الإمام مسلم النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٣٨_ العبر في خبر من غبر . محمد بن أحمد بن الذهبي ، تحقيق : محمد السعيد بسيونى ، طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

٣٩_ عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين . أ / محمد آل عمر ، رسالة ماجستير منشورة ١٤٢٤هـ .

٤٠_ العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها . أ / أحمد عبد الله الزغيبي ، الطبعة الأولي . مكتبة العبيكان ، الرياض . ١٤١٨ هـ .

٤١_ الفرق بين الفرق .عبد القاهر البغدادي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة المدني . القاهرة.

٤٢_ الفكر الإسلامي والمجتمعات المعاصرة . د / محمد البهي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ .

٤٣_ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام . د/ غالب بن على عواجي ، طبعة مكتبة لينة . المدينة المنورة ١٩٩٣م .

٤٤_ فروع الكافي ، لمحمد بن يعقوب الكليني ، طبعة إيران،

٤٥_ فقه العامل مع المخالف .د / عبد الله بن إبراهيم الطريفي ،طبعة دار الوطن ، الرياض .

٤٦ _الكافي . لمحمد بن يعقوب الكليني ، تحقيق :على أكبر العفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٧٥هـ

٤٧_ لسان العرب .محمد بن مكرم ابن منظور . مادة ، دار صادر ، بيروت ١٤١٤هـ

٤٨_ الموضوعات . أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦هـ .

٤٩_مؤلفات الغزالي . د/ عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م.

٥٠_ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب ، عبد الرحمن قاسم ،وابنه محمد ، طبعة خادم الحرمين : الملك فهد بن عبد العزيز، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين

٥١_ محنة التقريب بين السنة والشيعة، القاهرة . أ / معتز الخطيب ، دار نهضة مصر، ٢٠٠٩م .

٥٢_مختصر التحفة الاثني عشرية . نقله من الفارسية إلى العربية . غلام محمد الأسلمي ، اختصره : محمود شكري الألوسي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

٥٣_ مذاهب فكرية معاصرة . أ/ محمد قطب : ص ٢٥ ، الطبعة الأولي . دار الشروق ، القاهرة ١٤٠٣هـ .

٥٤_مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة. د/ ناصر بن عبد الله القفازي ، الطبعة الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٣هـ

٥٥_ مع الاثني عشرية في الأصول والفروع د/ على أحمد السالوس ، طبعة دار الفضيلة . الرياض ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٥٦_المفردات للراغب الأصفهاني أبى القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، الناشر . مكتبة نزار مصطفى الباز.

٥٧_مفهوم الحوار في القرآن الكريم وانعكاساته التربوية . محمد عدنان على القضاة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ١٤٢٣هـ .

٥٨_مناقب الشافعي . أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار التراث ، القاهرة، الطبعة الأولي ١٣٩١هـ .

٥٩_ منهج تربوي فريد في القرآن . محمد سعيد رمضان البوطي ، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ، دمشق ١٤٠٥هـ

٦٠_ موقف الأزهر من الشيعة الاثني عشرية . أ / طه على السواح ، طبعة دار اليسر ، القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٣١هـ /٢٠١٠م.

٦١_ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٦هـ (في أصول الحوار)، الطبعة الرابعة، الرياض ، المطابع العالمية .

٦٢_الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة " وثائق خطيرة وبحوث علمية لأعاظم علماء المسلمين من السنة ٦٣_ والشيعة ، جمع وترتيب . عبد الكريم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٦٤_ هدي الساري مقدمة فتح الباري . أحمد بن حجر العسقلاني ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء والإرشاد . الرياض .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
مبحث تمهيدي : المراد بالجماعة	
الفصل الأول : الحوار والحفاظ على الجماعة المسلمة	
المبحث الأول: الحوار مفهومه وأنواعه	
أنواع الحوار في القرآن الكريم التي يمكن استخدمها في الحفاظ على الجماعة المسلمة	
المبحث الثاني : الحوار بين الصفات والضوابط والأهداف	
أولاً: الصفات التي يجب توافرها في المتحاورين للحفاظ على الجماعة المسلمة .	
ثانياً : ضوابط الحوار الفكري للحفاظ على الجماعة المسلمة	
ثالثاً: أهداف الحوار للحفاظ على الجماعة المسلمة	
الفصل الثاني : الحوار الفكري بين الإرهاب والتقريب	
المبحث الأول : الإرهاب الفكري وصوره وطرق تصحيحه	
المطلب الأول : الإرهاب والتطرف بين المفهوم والعلاقة	
المطلب الثاني : صورة من صور الإرهاب الفكري	
المطلب الثالث: الطرق الحوارية لتعديل الفكر وتصحيح الرأي	
المبحث الثاني : الإرهاب الفكري والتطرف أسبابه وطرق علاجه	
المطلب الأول الأسباب الفكرية للإرهاب والتطرف	
المطلب الثاني : معالجة ظاهرة الإرهاب والتطرف	

المبحث الثالث : الحوار الفكري والتقريب بين المذاهب الإسلامية	
المطلب الأول : وجهة النظر المعارضة للتقريب بين السنة والشيعة وأهم عوائق التقريب	
القضية الأولي : قضية الإمامة .	
القضية الأخرى : مصادر تلقي العقيدة .	
المطلب الثاني : وجهة النظر المؤيدة للتقريب بين السنة والشيعة	
الأول : مؤتمر النجف ١١٥٦هـ	
الآخر :تجربة دار التقريب بين المذاهب بالقاهرة والحوار الفكري بين السنة والشيعة	
المبحث الرابع : تقييم الحوار الفكري والتقريب بين السنة والشيعة	
الخاتمة	
أهم المصادر والمراجع	
الفهرس	